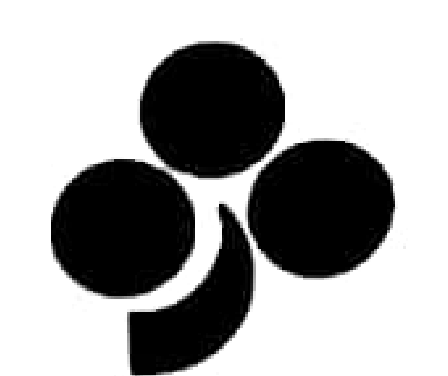


المؤسسة العربية للدراسات والنشر
السّونيتات
وليم شكسبير
ترجمة وَتقديم
جبرا ابراهيم جبرا

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون . ساقية الجنزير . ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً . موكيالي بيروت . ص . ب ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الأولى ١٩٨٣



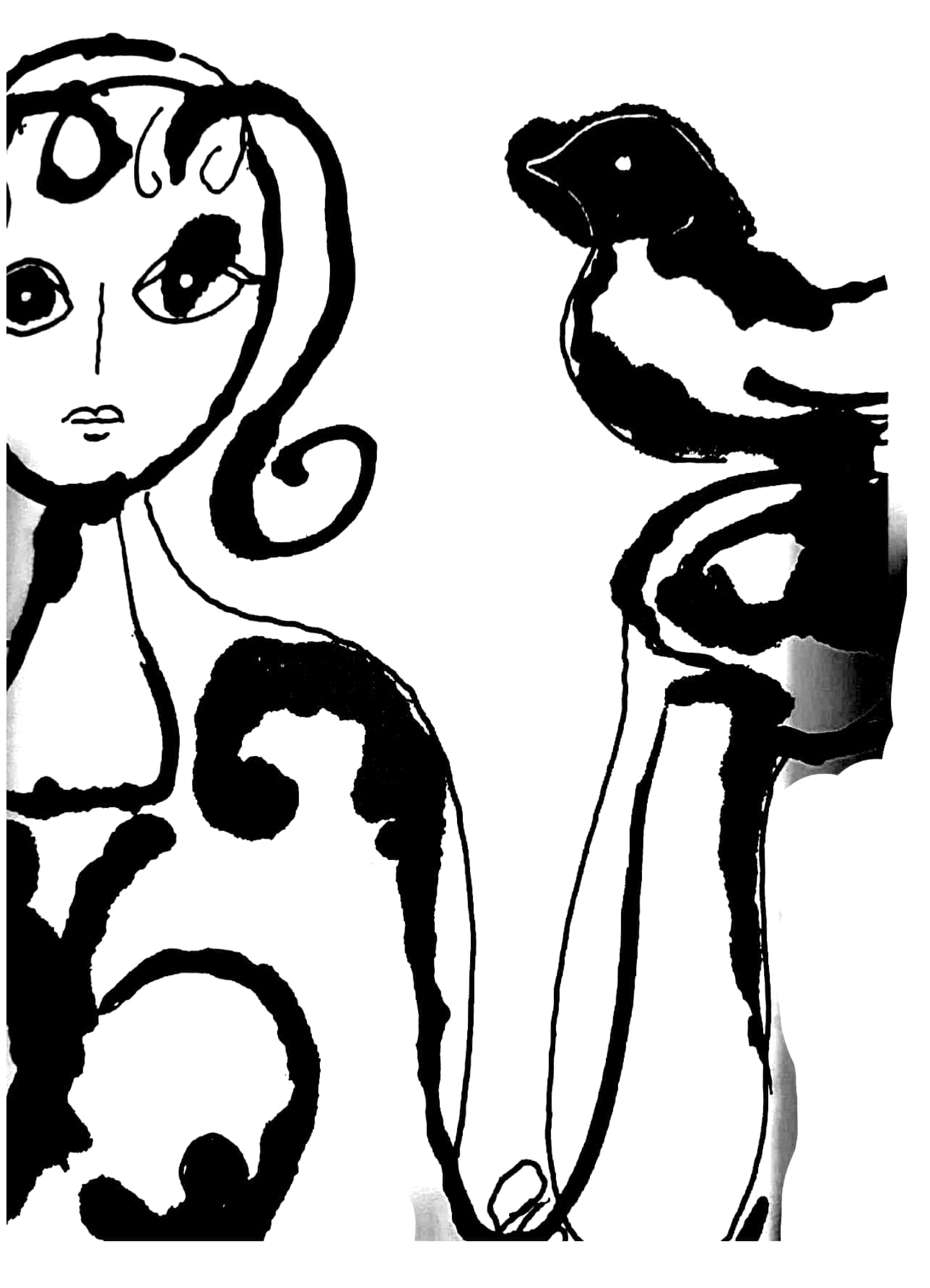
وليم شكسبير

السونيتات

أربعون منها مع النص الانجليزي

ترجمة وتقديم : جبرا ابراهيم جبرا

المؤسسة العربية للدراسات والنشر



الرسوم: بريشة راكان دبدوب



سونيتات شكسبير



ترك لنا شكسبير الغازاً كثيرة حول حياته وشخصيته ومسرحياته العظيمة ، وترك لنا ألغازاً أخرى حول أثر له هو من اروع ما في اللغة الانكليزية من شعر : السونيتات . وما زال الدارسون ، جيلاً بعد جيل منذ اواخر القرن الثامن عشر ، يمعنون النظر في هذه القصائد ، ويؤخذون بفتنتها وبكثير من اشاراتها الغامضة ، فيتكهّنون ، ويدعمون تكهّناتهم بعلم كثير وخيال أكثر ، ويخرجون بنتائج لم تنته التناقضات فيما بينها حتى الآن ، ولا أظنها ستنتهي . لا تكاد تمر سنتان أو ثلاث ، إلا ويظهر كتاب جديد عن السونيتات ، يحمل نظرية جديدة . فشكسبير ، كبعض الحضارات القديمة الكبرى ، شديد الإغراء لكل من اراد أن يدلو دلوه في بئره الفائضة ، حتى جعل الأمر لا يخلو من فوضى . وقد قال السير والتر رالي في مطلع هذا القرن في سونيتات شكسبير :

« هناك آثار أقدام كثيرة حول هذا السرّ الغامض ، ولا يدلّ أيّ منها على مخرج . لم يحاول أحد حلاً للمشكلة دون أن يخلّف كتابا وراءه : ومعبد شكسبير يعجّ بهذه التقدمات النذرية ، وقد ذبلت كلها وكساها الغبار. »

غير أن التقدمات الحديثة ما زالت تتواتر ، وتثير الجدل . حتى في ترتيب السونيتات ثمة اجتهادات تتجدّد : إذ يؤمّل كل مجتهد أنه ، إذا ما اعاد ترتيبها على نحو جديد ، سيستطيع أن يبرز المعاني الخفية أو الضمنية التي يراها فيها .

من إشكالاتها الكثيرة ، والأساسية ، أنها قصائد موجهة في القسم الأول منها ، وهو الأكبر ، إلى شاب فتيّ وسيم ينصحه الشاعر بأن يتزوج وينجب الأولاد لكي يخلد جماله في ذرّيته . ثم ينصرف الشاعر عن هذا الموضوع إلى التغني بحسنه ، وتعلقه به ، ووعده بالخلود في قصائده هذه . وفي القسم الثاني من السونيتات ، ويشمل في الأصل

الثماني والعشرين سونيتة الأخيرة ، يوجه الشاعر قصائده إلى امرأة سمراء كثيراً ما يصفها بالسواد ، زيادة في تعذيب نفسه ، لأنه مجنون بها : تصله ، وتخونه ، وتعذّبه ، ويغفر لها خطاياها معه كلها .

وإمعاناً في الإشكال ، تدل القصائد على أن السمراء الساحرة هذه ، وهي أصلاً متزوجة ، تغري الشاب الفتيّ الذي تعلّق به الشاعر ونظم فيه سونيتاته الأولى ، لكي تبعده عنه ، وهكذا تخون عاشقها مع الشخص بالذات الذي هو لديه أعزّ اصدقائه .

وهذا كله يوحي بأن السونيتات لم تكتب بدافع تجريدي ، كما قد يكتب بعض شعراء الغزل ، بل إنها سجل لتجربة حقيقية كان فيها شكسبير مكابداً لآلام عشق غريب ، جعله ينظم هذا العدد الكبير من القصائد ، ويشحنها اشارات وتوريات ورموزاً تربط بينها وبين المعنيين فيها ، ولكنه يحوّلها إلى ما هو اشبه بكهف يضع فيه سرّه فيحاول الناس أن يدخلوه بشيء من الفهم ، لعلهم يدركون المزيد من غوامض المتعة في أبياته المذهلة .

فالذي يكاد يكون في حكم الاكيد ، أن سونيتات شكسبير لم تنشر بموافقة منه ، أو حتى بعلم منه ، لأن المعنيين فيها ، أيامئذ ، ما كانوا ليرضوا عنها ، وقد يثيرون له المتاعب بشأنها . وقد مضى ، على كل ، قرابة الاثنتي عشرة سنة ، أو اكثر ، بين نظمها ونشرها عام ١٦٠٩ . والذي تجرّأ ونشرها كان ناشراً يدعى توماس ثورب ، لا ندري بالضبط كيف حصل على نصوصها ـ وأقصى ما يشير هو به إلى ذلك هو ذكره للحرفين الأولين (هـ . و .) من اسم شخص يهدي ثورب المجموعة إليه بعبارة ملغومة بغموضها . وهذا الاسم ذهبت التخرصات بشأنه في كل اتجاه ، ويفترض

البعض انه اسم الفتى الذي تعلق به الشاعر وأنه هو الذي ساعد الناشر في وضع يده عليها . وهناك من يرى ، كما يرى الاستاذ دوفر ولسون ، أكبر الثقات في دراسة ألغاز السونيتات ، أن السيدة السمراء هي التي سلمت القصائد لثورب لسبب أو لآخر ، وقد يكون المال بعض الدافع إلى ذلك بعد مرور السنوات على علاقتها بالشاعر . فأعمل معرفته وذكاءه في ترتيب تسلسلها على نحو معين ، اعتمد فيه كأمر أساسي الفصل بين السونيتات الموجهة إلى الشاب ، وتلك الموجهة إلى الحسناء المجهولة ـ ولم يضف ولو ملاحظة ايضاحية واحدة .

وبفضل تأملات الدارسين والشارحين، نجد أن ثورب كان بارعاً في جعل هذه المجموعة أو تلك من القصائد تتوالى فيها الواحدة لصق الاخرى ، فنستشف فيما بينها روابط من المعاني والاشارات المتصلة أو المتقاربة (كما سيرى القارىء عند مراجعته الهوامش المثبتة في القسم الأخير من هذا الكتاب). غير أن هذا التسلسل هو بالضبط ما بقي الدارسون في شك منه حتى اليوم ، وما فتئوا بين حين وآخر يعيدون التسلسل في شكل جديد طلبا لكشف جديد .

ولئن كنا نجهل وقع السونيتات، أيام نشرها، عند الاشخاص المعنيين فيها، فإننا نعلم انها ، بعد أن كانت الرقابة الصارمة أيامئذ قد اجازت نشرها ، عادت فوقعت تحت طائلة هذه الرقابة التي اصدرت أمراً لناشرها ثورب بألاّ يعيد نشرها.

ولا بد من القول إن العهد الاليزابيثي لم يكن يعرف حقوق التأليف ، أو ما يسمى اليوم « كوبي رايت » ـ فإذا ما حصل الناشر على المخطوطة ، وذلك بشرائها مثلاً ، اصبحت ملكاً له . ولذا ، لا نعرف ما الذي فعله شكسبير ازاء نشر قصائده التي كان

قد تكتمّ بشأنها زمناً طويلاً ، وبذلك أضاف المزيد من التعتيم على القضية كلها . وقد التزم ثورب فعلاً بالأمر الصادر إليه بعدم اعادة نشر السونيتات ـ ولم يُعَد نشرها بالشكل الذي وضعه فيها إلاّ بعد ذلك بمئة وسبعين سنة ـ عام ١٧٨٠ .

* * *

في اواخر القرن السادس عشر كان نظم السونيتات قد جاء إلى الشعراء الانكليز بما هو أشبه بالصرعة . وكان البادىء الحقيقي بهذه الصرعة الشاعر الرقيق فيليب سدني في مجموعته المسماة « استروفل وستيلا » . وسدني نفسه كان قد تأثر ، كما تأثر معاصروه ولاحقوه ، بسونيتات الشاعر الإيطالي بترارك ، الذي وجّه قصائده القصيرة إلى حسنائه لاورا (وقد كان هذا اصلاً اسما مستعاراً لحبيبته ، اقتضته ظروف الشعر والحياة معاً ، إذ كانت « لاورا » في الحقيقة زوجة رجل محترم) . وكان هذا امتداداً لتقاليد شعرية تعود إلى ايام الرومان ، يوجه بموجبها الشاعر غزلياته ، أو معظمها ، إلى سيلة يعينّ لها اسماً لا ينفك عن ترديده . وكان للشعر العربي ، والاندلسي منه بوجه أخص ، أثر في استمرار هذا التقليد. غير أن الاسم كثيراً ما كان مستعاراً (من بطلات الاساطير اليونانية والرومانية) ، وقد لا يعني استعماله المستمر في الغزليات أنها بالفعل موجهة إلى حبيبة واحدة دون غيرها .

وكانت السونيتة البتراركية تتألف من اربعة عشر بيتاً ، وتبتنى على نسق خاص في القوافي ينقسم إلى « ثمانية » اولى و « سداسية » أخيرة . غير أن الانكليز ، وعلى رأسهم شكسبير ، جعلوا السونيتة ، بأبياتها الأربعة عشر ، في شكل رباعيات ثلاث (قوافيها اب اب ، ج د ج د ، هـ و هـ و) وثنائية أخيرة : ي ي . (وملتون ووردزويرث

هما من الشعراء الانكليز القلائل الذين آثروا النمط الايطالي في التركيب وترتيب القوافي فيما كتبوا من سونيتات).

ويبدو أن شكسبير نظم سونيتاته والصرعة في أوجها ، ولكنه أعطى لكل منها تركيبة جدلية : فهي تبدأ عادة بفكرة تعبّر عنها الابيات الاربعة الأولى ، ثم توسعها الأربعة التالية ، ثم تناقضها - أو تضيف اليها جديداً - الأربعة الثالثة ، وتنتهي بحل حاسم في البيتين الأخيرين . فشكسبير ، حتى عندما يكون في سياق الشكل السائد ، لا بد أن يأتي بما هو غير متوقعَ في ما يبدع. والأمر الآخر الذي خالف به الشاعر ما كان سائداً بين الشعراء ، هو أنه لم يذكر اسماً للحبيبة التي يخاطبها - حقيقيا كان أو مستعاراً . غير أننا نجزم ، لشدة ما في الصلات التي بين السونيتات من إحكام ، أن الفتى المخاطب واحد ، لا غيره ، وأن الحبيبة واحدة أيضاً ، لا غيرها .

بيد أن صرعة هذا اللون من النظم لم تطل أكثر من عشرين سنة . وعندما نشرت سونيتات شكسبير - بعد أن كتمها سنوات طويلة - كانت شعبية السونيتة في انحسار . ومع ذلك فانها استطاعت الصمود على الزمن . وبقيت السونيتة تكتب على قلة ، إلى أن عادت وانتعشت في أقطار الغرب في القرن التاسع عشر ، وهي ما زالت تحتل مكانة نبيلة من اساليب القول الحديث هناك. والكثير من شعراء اليوم ، على طريقة اسلافهم ، يجابهون التحدّي الشكلي الذي تطرحه السونيتة لكل شاعر ، فينظمونها ولو في فترة من حياتهم ، ويتعلمون بها كيف يحشد الشاعر فكرته المعقدّة في أسطر لا يجوز أن تتخطى الأربعة عشر ، وتخضع في انمائها لشكل صارم . حتى أن الكثير من شعراء الأمس كانوا ينصحون كل شاعر ناشىء أن يحذق صناعة الشعر بالتركيز على كتابة

السونيتة . وفي معظم أعمال الشعراء الانكليز، منذ مطلع هذا القرن ، نجد « متوالية سونيتات » Sonnet Sequence، أو ، إذا لم تكن سونيتات ، فهي « متوالية قصائد » Poem Sequence تتميز عادة بأنها تدور جميعاً في جو نفسي واحد ، بحيث تصبح القصائد كلها تنويعاً على ثيمة واحدة ـ الحب ، الموت ، الفراق ، أو هذه الثيمات متداخلةً . وسونيتات شكسبير، بالطبع ، هي الأصل الأهمّ لهذا النوع من نظم الشعر، وإن لم يكن بالضبط الأصل الأول.

* * *

لما كانت سونيتات شكسبير كثيرة الأدلّة على شؤونه الخاصة، رغم غموض الأدلّة ، فقد تفحّص الدارسون تسلسلها الذي انتهى اليه ثورب ، وناقشوه بحدّة ، لأن معظمهم يجد أنه ليس بالتسلسل الزمني بالضبط ، ولا هو بالتسلسل الموضوعي ، رغم شطر المجموعة إلى شطرين . مثلاً ، لو قرئت السونيتات ١٤٧ ، ١٢٩ ، ١٤٦ (وهي في مجموعتنا المختارة هنا الأرقام ٣٦، ٢٦، ٣٥)، لتبيّن أن شكسبير لم يكن يؤمن بوجود الخطيئة والندامة فحسب ، كأي مؤمن ، بل انه كان يشعر شعوراً عميقاً مقلقاً بأن خليلته ، التي يبدو أنها تعرّفت عن طريقه على صديقه الأثير لديه ، جعلت تجرّ بهما كليهما إلى جحيم يراه بالمصطلح الديني والشعري معاً . وهكذا يعاد تجميع السونيتات إلى فئات يحاول النقاد أن يستشفوا من تجميعها على هذا النحو أو ذاك حقيقة تفكير ومشاعر شكسبير ايام كان في العنفوان من رجولته .

ولكن الذي يبقى لنا هو أن نتمعّن في السونيتات مهما يكن ترتيبها لاستخلاص أقصى الروعة ، أو أقصى المتعة الشعرية منها . وفي هذا يقول الناقد سي . اس . لويس :

« إن الصعوبة التي تجابهنا إن نحن حاولنا أن نقرأ متوالية السونيتات كرواية ، هي أن شكل الحب الذي يعلنه الشاعر للفتى يبقى غامضاً . فلغته هي اقرب إلى الحب منها إلى الصداقة بين رجلين . . . . وأنا لم اجد موازيا حقيقياً للغة كهذه بين صديقين في ادب القرن السادس عشر . ولكن ، من الناحية الأخرى ، لا يبدو هذا شعراً يكتبه شاعر شاذ العواطف لرجل آخر . فشكسبير ، بل وعصره جميعاً ، لم يكن ليفعل شيئاً « على النصف ». فلو اراد أن يكون في هذه السونيتات شاعراً يحب غلاماً ، لما ترك فينا شكاً بذلك . . . إن اصراره المستمر على الفتى بأن يتزوج وينجب ويؤسس اسرة وسلالة يناقض أي عاطفة شاذة قائمة بين رجلين . . . إن العاطفة التي تعبّر عنها السونيتات ترفض أن تنصاع لأي تصنيف تعودناه . . .

«هذا هو أثر السونيتات حين تقرأ واحدة واحدة . ولكن عندما تقرأ المتوالية كلها في جلسة واحدة ، تختلف التجربة نهائياً . فمن حبكتها الكلّية ، مهما تكن مبهمة ، وخصوصية ، يبرز شيء ما ، ليس هو بالعام أو الشائع كالحب الذي يتمّ التعبير عنه في عدد من السونيتات الفرادى ، ولكنه ، على نحو أسمى ، كونيّ ومطلق . فالتقابل الرئيسي في السونيتات هو بين نوعين من الحب : حب « طمأنينة »، وحب « يأس ». وحب اليأس يطالب بكل شيء . وحب الطمأنينة لا يطلب ، وربما لا ينال ، أي شيء . وهكذا تصبح المتوالية بأجمعها توسيعاً لقصيدة وليم بليك « كتلة الطين والحصاة »*. والذي يتحقق ، مهما تكن البواعث التي بدأت بها السونيتات ـ شذوذاً ،

(*) يجد القارىء ترجمة لها في نهاية هذه المقدمة .

تقليداً ، أو ربما (من يدري) تخيّلا ـ أن شكسبير اذ يمجّد « كتلة الطين » كما لم يمجدها انسان من قبله أو بعده ، ينتهي إلى التعبير ببساطة عن الحب : عصارة جميع الوان الحب ، شبقيًا كان ام أبويا ، بنويا ام حب صديق لصديق . وهكذا نجد طريقاً من الخصوصية المتطرفة إلى اسمى ضروب الشمول والكونية . . .

« ومهما تكن الوقائع في حياة شكسبير اليومية ، فإن هذه السونيتات ، وهي أعظم ما كُتب من سونيتات بالانكليزية ، تنظم من منطقة يتخلّى فيها الحب عن كل مطلب ، ويزدهر متحولاً إلى محبّة : وبعد ذلك لا يهمنا ما هي الجذور التي غذّته وانمته . إنها تفتح عالماً جديداً من شعر الحب ـ جديداً جدة شعر دانتي وبترارك في أيامهما .

«لقد عبّر كلا هذين الشاعرين عن الخضوع في الحب ، ولكنه خضوع ايروس ، الجائع للأخذ ، راكعاً ، ولكنه راكع ليطلب . فهما مع خليفتهما العظيم الشاعر الانكليزي باتمور يتغنيان بحب مطيع خاضع ، ولكنه غير مُعْطٍ . فكان بامكان أي منهم ان يكتب بسهولة : «ما الذي بوسعي فعله ، وأنا أعبدك ، سوى أن اداري ساعات الرغبة منك وأوقاتها . . . » . ولكن لم يكن بامكانه أن يكتب السونيتات التي مطالعها : « لا استطيع بعد اليوم اعترافاً بك » ، أو « كفاك اسى » أو « لئن تسرق لنفسك فقري كله » . فنكران الذات حتى التلاشي في السونيتات لا تُسمع فيه أبداً نبرة كاذبة . وهذا الصبر ، وهذا القلق في ايجاد أعذار للمحبوب ، وهذا الاستسلام الفلسفي الواضح الرّؤية ، الخالي من المرارة ، وهذا التحويل للذات كلها إلى ذات أخرى دون المطالبة بأي مقابل ، هذا كله لا نجد سابقاً له في الأدب غير الديني . ففي بعض معاني كلمة « حب » ، لنا أن نقول إن شكسبير ليس فقط افضل شاعر كتب عن الحب بالانكليزية ،

بل إنه شاعر الحب الأوحد . . . »

* * *

تتألف متوالية شكسبير من ١٥٤ سونيتة ، نشرت لأول مرة بكاملها ، كما قلنا آنفاً ، عام ١٦٠٩ . ولكن عندما درست العبارات والصور التي تتكرر فيها وفي بعض مسرحيات شكسبير ، تبين انه نظم معظمها بين عامي ١٥٩٣ و١٥٩٦ ، وان القلة الباقية نظمت حتماً قبل عام ١٦٠٠ . ولما أجرى الناقد بيتشنغ Beeching دراسة مقارنة بين لغة السونيتات ولغة المسرحيات ، وجد أن السابقة تتفق كثيراً مع لغة « هنري الرابع » (١٥٩٧)، و« خاب مسعى الحب » التي اعيدت كتابتها في تلك السنة ، و «هاملت» التي كتبت بعد ذلك بسنتين أو ثلاث . وهذا أدى به إلى الاعتقاد بأن بداية السونيتات كانت في العام ١٥٩٧-١٥٩٨، وانه انتهى منها حوالي عام ١٦٠٠ . فهي إذن في كل الأحوال تنتمي إلى السنوات الستّ أو السبع الأخيرة من نهاية القرن السادس عشر . فإذا كنا نعرف شيئاً مؤكداً عن حياة الشاعر في هذه الفترة ، فإننا على الأرجح واجدون في السونيتات ما يشير اليه بشكل ما . لقد نظمها وهو بين التاسعة والعشرين والسادسة والثلاثين من عمره . ومع ذلك فإنه يعاني حسًّا رهيبا بفوات الشباب ودنو الشيخوخة (كما في الرقمين ١٧ و٣١ من هذه المجموعة). إنه حسّه الفاجع الدائم بأن الجمال تلتهمه الأيام (رقم ١٦).

من العبث أن ندخل هنا في مسألة من هو صديق شكسبير الذي خصه بهذا الإبداع الكبير . يعتقد الكثيرون أن الحرفين و. هـ.، المذكورين في إهداء الناشر للسونيتات ، يشيران إلى اللوردوليم هربرت الذي أصبح فيما بعد ايرل اوف بمبروك .

ولكن هناك نظريات أخرى لا يهمنا أن نعرض لها ، لأنها خارجة عن صدد التمتع بالسونيتات كشعر يأخذنا بقيمته المطلقة .

وكذلك الأمر مع سمراء السونيتات : هل كانت فعلاً زوجة أحد رجال البلاط ، أو احدى وصيفات الملكة اليزابث، أو سيدة اخرى من سيدات المجتمع خشي الشاعر على سمعتها من التلوث لكثرة علاقاتها الغرامية ؟ لا نعلم . انما الذي نعلمه ، من القصائد نفسها ، انها كانت سوداء الشعر والعينين ، وربما كانت إلى ذلك على شيء من سمرة البشرة ، مما أطلق خيال شكسبير في خلق صور معينة تمتاز بها هذه السونيتات ، يعيب فيها السواد ويعشقه معاً ، ويسعفه في ايجاد ضروب من الطباق والتناقض البديعين في التراكيب والمعاني . وقد ذهبت مجموعة من النقاد في زمن ما إلى أن السيدة المعنيّة كانت الوصيفة ماري فيتون ، إلى أن اكتشفت لوحة تمثل صورتها الشخصية ـ وإذا هي سيدة شقراء ! وتبين انها لم تتزوج قط ، في حين أن شكسبير يتحدث عن نقضها « عهد الفراش » (أي الزواج) في السونيتة ١٥٢ (رقم ٤٠ في مجموعتنا هذه). وذهبت فئة اخرى من الدارسين إلى أن المعنية هي السيدة دافينانت، زوجة صاحب حانة في اكسفورد ، وأم السير وليم دافينانت ـ الكاتب المسرحي الذي كان ، إذا ثمل من الشراب ، يدّعي انه ابن شكسبير ، لأن أمه كانت رائعة الجمال ، وكان من عادة شكسبير أن ينزل في النزل الذي كان يديره والده كلما كان على سفر بين بلدته ولندن . . . ولكن تبين أن وليم دافينانت ولد عام ١٦٠٦ ـ مما يجعل الأمر بعيد الاحتمال والسونيتات قد تمت كتابتها قبل ذلك ، وإن لم تكن قد نشرت بعد .

ولنترك الحديث الآن لجون دوفر ولسون ، شيخ المفسّرين في هذا الميدان :

« كل ما نستطيع أن نعلمه عن خليلة الشاعر ، علينا إذن أن نستخلصه من السونيتات أنفسها . ففي رقم ٤٢ من القسم الأول يخبرنا شكسبير أنه كان في وقت ما « يحبها حبا نادراً »، وفي القسم الثاني عندنا قصيدة لطيفة (رقم ١٢٨) نجده فيها يغازلها وهي تعزف على الـ « فير جنالز » ولعلّها تغني له أيضاً ، وهناك السونيتة الوحيدة التي هي ذات ثمانية مقاطع للبيت الواحد (في حين ان السونيتات الاخرى كلها منظومة على بحر المقاطع العشرة للبيت الواحد)، ولعلها في الواقع اغنية ، وتبدو أنها تشير إلى نهاية خصام بين العاشقين . وفي رقم ١٢٧ (في مجموعتنا ، رقم ٢٥)، يعلن الشاعر ان جمالها الأسود اروع من كل جمال أشقر في الدنيا ، ولنلحظ أنه يقول ذلك في عبارات تماثل بالضبط عبارات بيراون في مدح جمال روزالاين في « خاب مسعى الحب » (٤ ، ٣ ، ٢٥٥ ـ ٢٦١). وهو، مثل بيراون ، مفتون بعينيها السوداوين (رقم ١٣٢ ـ في مجموعتنا رقم ٢٩). وبعض النقاد يرى أنها الأصل الذي بنى عليه شكسبير شخصية كليوباترا المتفجرّة ، وكريسيدا المتقلبّة . . .

« روزالاين ، كليوباترا ، كريسيدا ـ كلهن سيدات في مجتمعهن ، ولكنهن سيدات في مسرحيات ، وهذا لا يستتبع بالضرورة ان تكون خليلة الشاعر في السونيتات سيدة من هذا القبيل . فهو لا يتحدث عنها أبداً كسيدة ، والمحتمل هو أنها كانت امرأة من طبقته ، ولعلها كانت تقاربه في السنّ . كانت متزوجة ، وثمة عدة اشارات تتهمها بكثرة العشاق . غير أن المؤكدّ انها لم تكن عاهرة عادية . فإذا لم تكن السونيتة ١٢٨ مجرّد مداجاة ، فهي امرأة تجيد العزف وربما الغناء . ولا بدّ ان محبها المدنف يعرف أنها تتذوق الشعر ، وإلاّ لما تعنىّ بنظم حوالي ثلاثين سونيتة لها ، أو عنها ، لكيما تقرأها . . . . ولما

كان شكسبير هو شكسبير ، فإننا لا نشك مطلقاً في أن ما كان يأسر اهتمامه فيها لساعات كلما التقيا ، هو ظرفها ، بل ربما روعتها في الحديث ، إلى جانب ذكاء غير قليل فيها . . .

« هكذا كانت ، فيما ارى ، المرأةُ سوداءُ العينين التي استرقّت قلب أعظم الشعراء جميعاً كما استرقتّ كليوباترا قلب انطوني ، ومن يدري كم سنة استمرت الحالة تلك قبل ان يستهلّ الشاعر سونيتاته إلى صديقه . ولكن جاءت ساعة التقت فيها المرأةُ التي أحبها بهذه اللوعة وهذا الاستئثار ، الصديقَ الذي تعلق به الشاعر وكله إيثار ونكران ذات ولا يطالبه بشيء . كيف التقى الاثنان ، نحن لا نعلم . لعل الأمر كان لا مفرّ منه عندما وصل الصديق الى لندن ، ولكننا لن نصدّق أن شكسبير دبّر اللقاء بينهما عن قصد ، وهو يعرف الاثنين حق المعرفة . وعندما تم اللقاء ، وقعت الكارثة . وتحول حبه للسمراء إلى مرارة ، اشبه بقميص نيسوس يعذبه غير أنه لا يستطيع أن ينزعه عنه لأن السمراء ما انفكّت تأسره بفتنتها الجسدية :

ما أشبه حبّي بحمىً تتوق دوماً
الى ما يطيل تغذيةَ المرض ،
مقتاتةً على ذاك الذي يُبقي على الداء فيها ،
إرضاءً لشهوتي الممروضة الحائرة . . .

(رقم ٣٦ في هذه المجموعة)

وحبه لصديقه الذي كان يوماً هو الشمس في سمائه ، لبّدته سحب الشك والريبة ، وما فتئت هذه الريبة أن تحولت إلى قلـق مضنٍ وغيرة وجيعة ، إلى أن أحاق

الخسوف بهذه الشمس بعضاً من الزمن ، فيما يبدو .

« واني لأتوقف هنيهة هنا لأسأل نفسي وأسأل زملائي دارسي هذه السونيتات : هل تعلمنا صورته التي رسمها لعطيل شيئاً عن نفسه هو ؟ وإذا كانت كليوباترا ، كما يذهب الكثيرون ، بمعنى ما صورة لسمراء السونيتات ، فلطالما خطر لي أن ما يرسمه شكسبير من تأرجح في حالات انطوني بين العشق المتلهف ، والغيرة العنيفة، انما هو بمعنى ما صورة لنفسه . وسونيتاته إلى السمراء تبدو مؤيدة لهذا الرأي : فهي رقيقة مرة ، وحشية مرة ، وأحياناً ممزقة بين الكراهية وبين الشبق . وهل كان حبه لصديقه ، ايضاً بمعنى ما ، كحب عطيل المختلف جداً لدزديمونه ، إذ يعبدها مرة عبادة « رجل لم يعقل في حبه ولكنه أسرف فيه »، بحب ناكر للذات ومطلق كموسيقى وحركة الأفلاك السابحة ، « ولكنه اذا أثير وقع في أشد التخبط » حدَّ أن يريد أن « يقطعّها إرباً»؟ إن يكن قد جُنَّ غيرة من صديقه ، فإن السونيتات ما كانت لتكشف عن ذلك ، ولو أنها تكشف عن اللوعة والألم فيه ، وتتبدّى امكانية الكراهية لصديقه مرة ، حسب ظني ، حين يقول له : « ولكن علينا ألا نكون عدوّين »، في ختام السونيتة رقم ٤٠ . . . ».

* * *

في السونيتة ١٤٤ (رقم ٣٤ في مجموعتنا)، نجد بعضاً من هذه الحيرة وهذا التمزّق بين حبّ الصديق الغادر وحبّ السمراء الغادرة :

لي حبيبان ، حبيب طمأنينة وحبيب يأس ،
وكلاهما كروحين يهمسان لي أبداً :

ملاك الخير منهما فتى ناصع الحسن ،
وروح الشرّ منهما امرأة بلون القتام . . .

إنه يضع اللوم كله على السمراء التي تقحمه في سعير من هوى لا يمكن إلاّ ان يعذّبه ، وهو لا يستطيع الخروج منه ، إذ يستمر فيقول :

لإقحامي في الجحيم سريعاً ، شريرتي
تغوي ملاكي الخير كي يبعد عني ،
وتودّ لو تفسد قديسي شيطاناً
وهي تغازل نقاءه بكبريائها الاثيمة . . .

عواطف مثل هذه تتحولّ ، بما فيها من وهج ولذة ، إلى مواقف درامية في العديد من كوميديات الحب التي كتبها شكسبير في هذه الفترة - وهي السابقة لعام ١٦٠٠ ، ولكن الكثير منها ، بما فيها من تباريح وآلام ، يتحوّل أيضاً إلى المآسي الكبرى التي كتبها الشاعر في الفترة اللاحقة . وقد وجدت أصداءً لها ، بعد نشرها بقرنين أو قرنين ونصف من الزمان ، في تباريح وآلام العديد من الشعراء الرومانسيين في معظم أقطار الغرب .

ولكن مهما تكن التجربة التي انطلقت منها هذه السونيتات ، ومهما تعكس من تفاصيل معينة في حياة صاحبها ، فإن أهم ما فيها ، في خاتمة المطاف ، هو روعتها الشعرية المحض : صورها وكناياتها ومجازاتها ، موسيقاها وايقاعاتها . ففيها جميعاً ، بعد أن يقول الدارسون ما يقولون ، تتمازج العذوبة بالعذاب ، واللوعة باللذة ، ويمازج حسّ الجمال فيها حسّ الشهوة ، والمحبّة المطلقة يمازجها حسّ الموت . وفيها ذلك

الحزن القادم من بعيد ، وإذا الحزن تنقذه النشوة ، والخوف من الزمن ينقذه الايمان بالفن ـ فن الشعر. فالمواضيع الأساسية التي تتمحور فيها السونيتات هي في النهاية : الحب ، والزمن ، والموت ، والشعر نفسه وسيلةً لتخليد الجمال والحب ، والبقاء رغم عتوّ الزمن والموت .

ولعل هذه المواضيع تمثّل التيار الجوفي الذي يجري في القاع من مسرحيات شكسبير كلها ، بل في ثنايا موقفه من الحياة نفسها . ونحن نعلم أن فكرة وعد الشعر بالخلود في وجه « الزمن الملتهم » استقى لها شكسبير في اربع سونيتات أو خمس صوراً ومفردات من بعض قصائد الشاعر الروماني هوراس ، وأهم منها ما استقاه من كتاب « التحوّلات » للشاعر الروماني الآخر اوفيد . غير أنه انما استقى ما كان يزيد من التأكيد على حدسه ، ويرفد به دفقه، صاهراً كل ما ينهل ، أو يتأثر به ، من كتابات الآخرين ، في نار خياله المتفرّدة .

جبرا ابراهيم جبرا
بغداد

كتلة الطين والحصاة

لوليم بليك

(من «أغاني التجربة»)

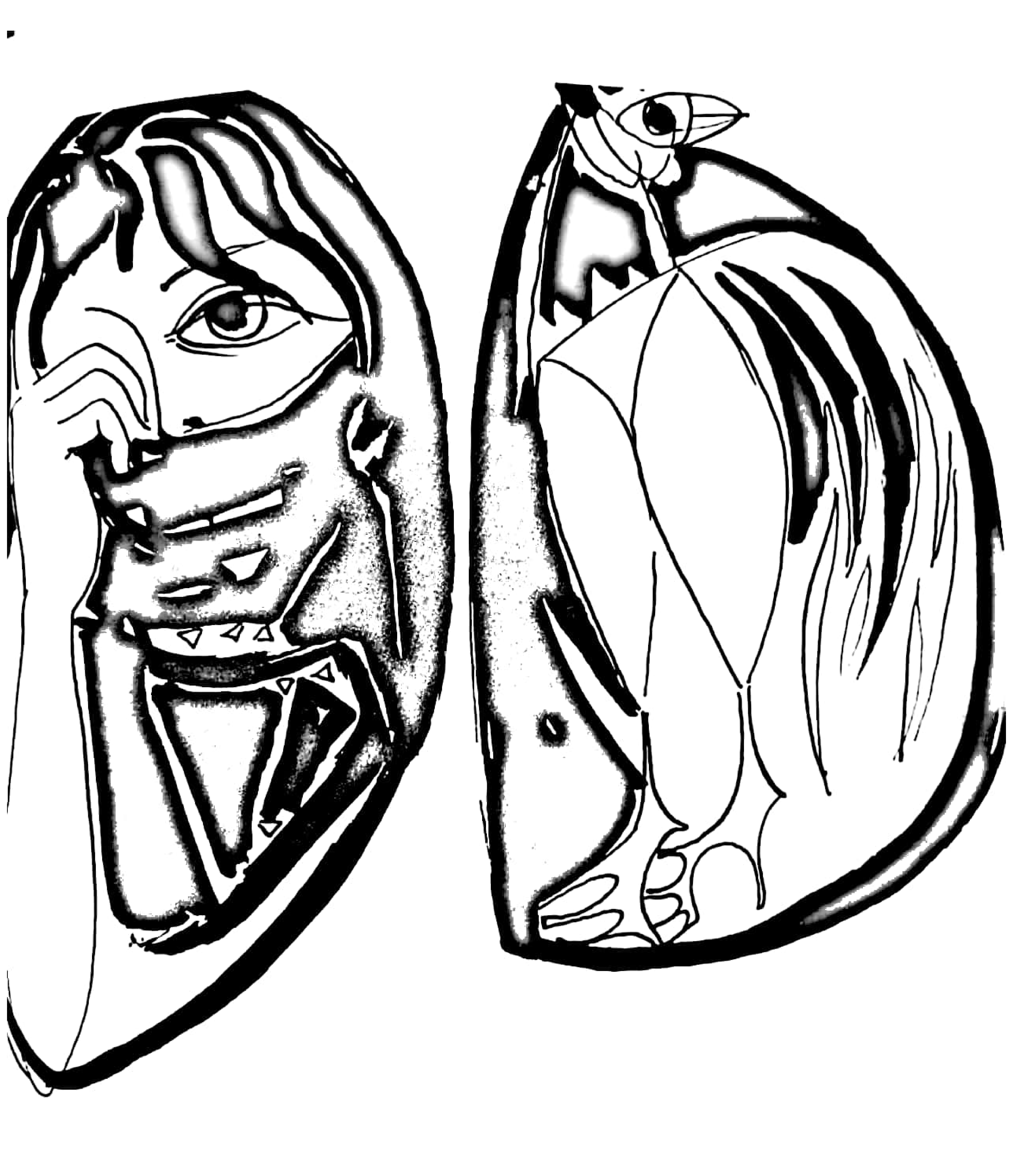
«لا يطلب الحب مرضاةً لنفسه
ولا هو أبداً يهتمّ بذاته،
انما يهيّىء الراحة لغيره،
ويبني نعيماً في يأس الجحيم».

هكذا غنت كتلة الطين الصغيرة
تطأها أظلاف المواشي،
غير أن حصاة من الجدول
ترنمت بهذه الأبيات المواثمة:

«لا يطلب الحب إلّا مرضاة نفسه
وربط الآخر بمتعته،
ويفرح إذ يسلب الآخر راحته
ويبني جحيماً رغم النعيم.



هذه السونيتات الأربعون



إذا كان لسونيتات شكسبير أن تُعرف في اللغة العربية ، لم يكن لي بدٌّ من الاختيار . وأغلب الظن ، في اختياري هذه الأربعين ، انني اخترت لا أروعها فقط ، بل اهمّها أيضاً .

اذكر هنا أن الشاعر وليم فتزجيرالد ، عندما تصدّى لرباعيات الخيام ، اختار منها عدداً رأى فيه تمثيلاً لخلاصتها وفلسفتها ، ولا أحسب إلاّ القليلين بعد قراءتها يرجعون إلى عشرات الرباعيات التي نظمها عمر الخيام ، إلا إذا كانوا يجيدون الفارسية . وهذا ما فعلته مع سونيتات شكسبير، رغم تعلّقي بها جميعاً كشعر .

ولا اكتم القارىء انني حاولت أن اترجمها كلها . بدأت بالأولى ، ثم الثانية ، وهكذا . غير أنني وجدت أن معظمها ، لسبب أو لآخر ، اذا انقاد للترجمة ، فهو بحاجة إلى شرح مستمر يقتل فيه الشعر . وهذا جعلني أوثر أن اعود إلى ما كنت بدأته مرة منذ زمن بعيد ، يوم رحت أعرّب ما أحببته منها بوجه خاص ، فوجدت انني استطعت ان انقل عشرين سونيتة على نحو رضيت عنه . ومع ذلك فانني لم أنشر يومئذ إلاّ عشراً من العشرين تلك .

وبعد سنين كثيرة ، عدت فاخترت عشراً أخرى تمتعت بترجمتها ، وحسبت انه سيصعب عليّ جداً أن اتخطى ذلك العدد . غير انني في الآونة الأخيرة اقبلت عليها بشغف ، مجدداً ، وانتقيت عشراً أخرى وترجمتها. ولما أعدت النظر في الاربعين المختارة

جميعاً ، احسست انني بلغت بها ما اردت من تقديم هذه الناحية من شعر شكسبير ، وهي ناحية لا أحسب أنها معروفة في العربية . والأهمّ من ذلك هو أنني وجدتها تتكامل فيما بينها ، وتمثل خلاصة السونيتات وجوهرها الأساسي .

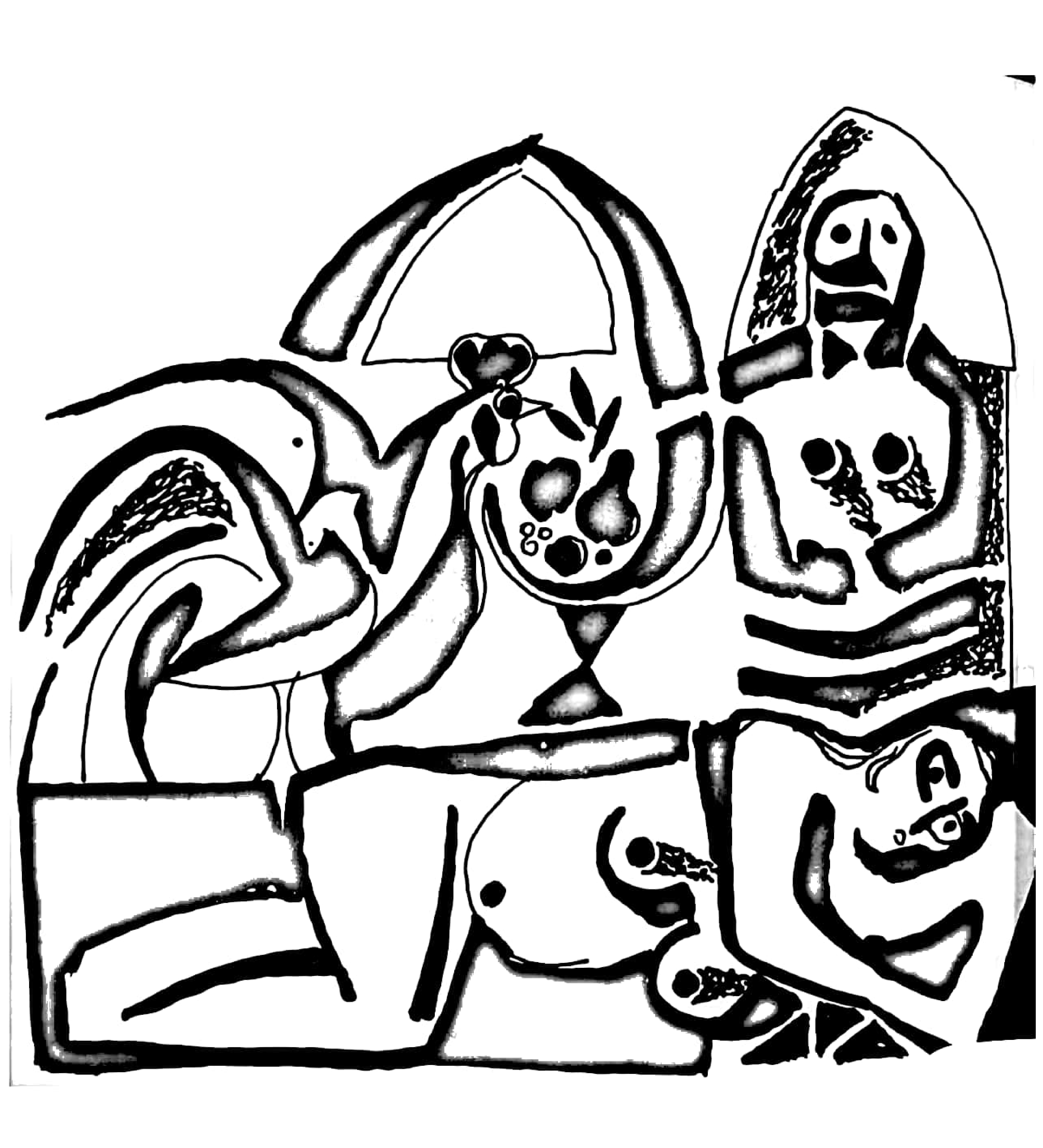
ولكن بالطبع ، ليس هناك ما يعوّض كليّا عن العمل الفني الكامل . فمن اراد الاستزادة ، عليه بالرجوع إلى الأصل .

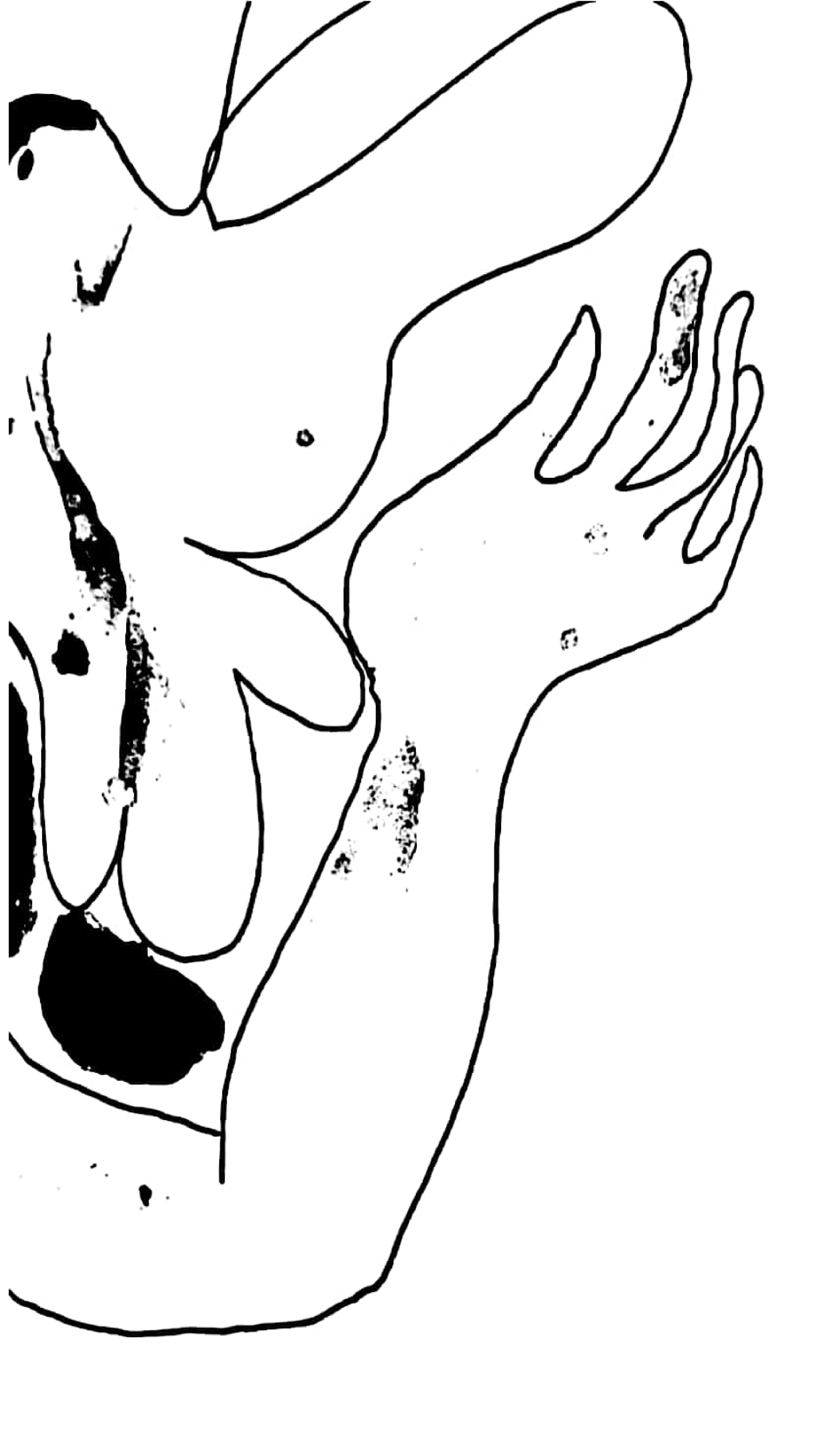
وقد عمدت إلى نشر كل سونيتة ترجمتُها إزاء نصها الانكليزي ، وذكرت في اسفلها رقمها التسلسلي في النص الاصلي ، لأنني أعرف ان الكثيرين من القرّاء سيجدون متعة حقيقية في ذلك ، وبخاصة عند مقارنة الترجمة بالأصل .

وأرجو أن يكون في الهوامش المضافة في النهاية ما يلقي المزيد من الضوء على جزئيات القصائد ، وعلى بعض ما عرضت له في المقدمة .

واعتمادي الأكبر في هذا العمل كله كان على كتاب السونيتات الذي حققه وقدّم له وعلّق على قصائده الاستاذ الشكسبيري الكبير جون دوفر ولسون ، في سلسلة أعمال شكسبير الكاملة الموسومة «ذي نيو شكسبير» ، إصدار مطبعة جامعة كمبردج .

ج . ا . ج





يشير الرقم في أعلى السونيتة إلى تسلسلها في مجموعتنا هذه ، أما الرقم في أسفلها فيشير الى تسلسلها

السونيتات



(١)

ابيومٍ من ايام الصيفِ أشبّهُك ؟
لأكثرُ جمالا انتَ واشدُّ اعتدالا .
فالرياحُ العتيّةُ تَجْني على براعمِ أيّارَ الحبيبة
وعَقْدُ الصيفِ ما أقصرَ أجَلَه !
وعينُ السماءِ آنا تُشرقُ بقَيْظٍ ملتهب
وآنا في صفحتِها الذهبيةِ يَخْبو البريق ،
وكلُّ حُسْنٍ عن الحَسَنِ يوما يَفْتَرِق
فاقداً زَهْوَهُ بطارىءٍ أو بمجرى الطبيعةِ المتقلّبة :
امّا صيفُك الأبديُّ فلن يَسْريَ فيه الذبول
ولن يفقدَ الحُسْنَ الذي تمتلكُه ،
ولن يفخَرَ الموتُ بأنك تطوفُ في ظلِّهِ ،
حين تعاصرُ الازمانَ في ابياتٍ خالدة :
فما دام في الناس رَمَقٌ وفي العيون بَصَر
هذا القصيدُ سيحيا ، وينفُخُ فيك الحياة .

(١٨)

(1)

Shall I compare thee to a summer's day?
Thou art more lovely and more temperate:
Rough winds do shake the darling buds of May,
And summer's lease hath all too short a date:
Sometime too hot the eye of heaven shines, 5
And often is his gold complexion dimmed,
And every fair from fair sometime declines,
By chance, or nature's changing course untrimmed:
But thy eternal summer shall not fade,
Nor lose possession of that fair thou ow'st, 10
Nor shall death brag thou wand'rest in his shade,
When in eternal lines to time thou grow'st,
  So long as men can breathe or eyes can see,
  So long lives this, and this gives life to thee.

18

(٢)

أيها الزمانُ الملتهم ، أثلِمْ مخالبَ الليثِ ،
واجعلِ الأرضَ تلتهمُ حُلْوَ بنيها ،
واقتلعْ من فكِّ النمرِ الشَّرس نُيوبَهُ المواضي ،
وأحرقِ العنقاءَ في دمها إذ يطول العمر بها ،
وجىء ، إذ تعبُرُ مسرعاً ، بفصولٍ من الشدة والرخاء ،
بل افعل ما شئت يا زمانا حثيثَ الخُطى
بواسع الدنيا وكلُّ ما فيها من حُلْوٍ سيذوي -
غير أني لأنهاك عن جريمةٍ شنعاءَ واحدة :
اياك ان تحفِر بساعاتك جبينَ حبيبيَ الوضّاء ،
او ترسُمَ عليهِ خطوطا بقلمك القديم ،
ولا تَمْسَسْهُ بسَوْءَةٍ إذ أنت في سبيلك ،
لكي يدومَ أنموذجا للجمالِ للأجيال القادمة .
ولكن ، افعل شرَّ ما شئتَ أيها الزمانُ الهَرِم ،
رغم جورِك سيحيا حبيبيَ شابّا في شِعري إلى الأبد . (١٩)

(2)

Devouring Time blunt thou the lion's paws,
And make the earth devour her own sweet brood,
Pluck the keen teeth from the fierce tiger's jaws,
And burn the long-lived phœnix in her blood,
Make glad and sorry seasons as thou fleet'st, 5
And do whate'er thou wilt swift-footed Time
To the wide world and all her fading sweets:
But I forbid thee one most heinous crime,
O carve not with thy hours my love's fair brow,
Nor draw no lines there with thine antique pen, 10
Him in thy course untainted do allow,
For beauty's pattern to succeeding men.
Yet do thy worst old Time: despite thy wrong,
My love shall in my verse ever live young.

19

(2)

Devouring Time blunt thou the lion's paws,
And make the earth devour her own sweet brood,
Pluck the keen teeth from the fierce tiger's jaws,
And burn the long-lived phœnix in her blood,
Make glad and sorry seasons as thou fleet'st, 5
And do whate'er thou wilt swift-footed Time
To the wide world and all her fading sweets:
But I forbid thee one most heinous crime,
O carve not with thy hours my love's fair brow,
Nor draw no lines there with thine antique pen, 10
Him in thy course untainted do allow,
For beauty's pattern to succeeding men.
Yet do thy worst old Time: despite thy wrong,
My love shall in my verse ever live young.

(٣)

كممثلٍ لم يُتقنْ على المسرح قولَهُ
يُخرِجُه عن دورِهِ خوفُهُ ،
أو كحيوان ضارٍ أتخَمَهُ الغضب
وإذا زخمُ قوّتِهِ يُضْعفُ قلبَهُ ،
هكذا أنا ، خوفاً من مزيد الثقة ، أنسى
نُطْقَ مدائحِ الكمالِ في شعائر الهوى ،
وأبدو كأنّي في زَخْمِ حُبّي أتَداعى ،
محمَّلا بعبءٍ قاصمٍ من سطوة حبّي :
ألا فلتكنْ نظراتي إذ ذاك بلاغتي ،
والسوابقَ الصامتاتِ لصدريَ الحاكي ،
وهي ترجو الحب ضارعةً ، وتنتظرُ الجزاء ،
أكثر من ذاك اللسانِ الذي فاقها في تعابيره .
ألا تَعَلَّم ما يكتبُه الحبُّ صامتاً دونما كلمة ،
فالسَّماعُ بالعينينِ من فنونِ الحب الجميلة .

(٢٣)

③

As an unperfect actor on the stage,
Who with his fear is put beside his part,.
Or some fierce thing replete with too much rage,
Whose strength's abundance weakens his own heart;
So I for fear of trust, forget to say, 5
The perfect ceremony of love's rite,
And in mine own love's strength seem to decay,
O'ercharged with burthen of mine own love's might:
O let my looks be then the eloquence,
And dumb presagers of my speaking breast, 10
Who plead for love, and look for recompense,
More than that tongue that more hath more expressed.
O learn to read what silent love hath writ,
To hear with eyes belongs to love's fine wit.

٤

إذا ما الكدحُ أعياني أسرعتُ الى فراشي

وهو المرقدُ العزيزُ للأعضاء المنهكات بترحالها ،

ولكنْ رحلةٌ تبدأُ عندَها داخلَ رأسي

تَشْغَلُ ذهني بعد أن قضى الجسمُ شُغْلَه .

فخواطري عندئذ ، هابطةً عليّ من نأيٍ بعيد ،

تهيّء النفسَ للحجِّ اليكَ بإيمانٍ مُتَّقِد

وتُبقي مُجْهَدَ الأجفانِ مني مفتوحةً لا تنطبق -

وأنا أرنو الى ظلامٍ هو للضرير كل ما يرى .

لولا أن بصيرةَ الخيالِ المُشْرَعَةَ طيَّ نفسي

تعرِضُ على بَصَري الكفيفِ طيفَ خيالكِ

وهو كالجوهرِ عُلِّقَ في دامسِ الليلِ الرهيب

يجعلُ من فَحْمائه حُسْنا ومن وجهِهِ العجوزِ وجها فتيًا .

فلا في النهار أعضائي ولا في الليل خواطري

تَسْتجمُّ براحةٍ - بسببٍ منك ومنّي .

(٢٧)

(4)

Weary with toil, I haste me to my bed,
The dear respose for limbs with travel tired,
But then begins a journey in my head
To work my mind, when body's work's expired.
For then my thoughts (from far where I abide) 5
Intend a zealous pilgrimage to thee,
And keep my drooping eyelids open wide,
Looking on darkness which the blind do see.
Save that my soul's imaginary sight
Presents thy shadow to my sightless view, 10
Which like a jewel (hung in ghastly night)
Makes black night beauteous, and her old face new.
  Lo thus by day my limbs, by night my mind,
  For thee, and for my self, no quiet find.

(٥)

أنى لي إذن أن أعود في كَرْبٍ هنيء

أنا الذي فوائدُ الراحةِ حُرِمْتُها ،

حين لا يُرَوِّحُ الليلُ عن عذاب النهار ،

بل يعذِّبُ الليلُ النهارَ ، والنهارُ الليل ؟

وكلاهما ، رغم أن كليهما عدوُّ حُكْمِ الآخر ،

يتصافحان اتفاقاً على تعذيبي ،

الواحدُ بالكدحِ ، والآخرُ بجَعْلِيَ أشْكو

من شدَّةِ كَدْحي ، متنائيا أبدا عنك .

اقول للنهار إنك تشعشع إرضاءً له ،

وتحبوه حُسْنا كلما لَطَّخت السُّحُبُ السماء ،

وكذا اتملَّقُ الليلَ الأسمرَ المحيَّا

بأنك ، حين لا تسطَعُ النجومُ ، تُعَسْجِدُ السماء .

بيد أن النهارَ يمدِّدُ أحزاني كلَّ نهار ،

والليلُ يضاعف الأشجانَ مني كلَّ ليلة .

(٢٨)

(5)

How can I then return in happy plight
That am debarred the benefit of rest?
When day's oppression is not eased by night,
But day by night and night by day oppressed.
And each (though enemies to either's reign) 5
Do in consent shake hands to torture me,
The one by toil, the other to complain
How far I toil, still farther off from thee.
I tell the day to please him thou art bright,
And dost him grace when clouds do blot the heaven: 10
So flatter I the swart-complexioned night,
When sparkling stars twire not thou gild'st the even.
  But day doth daily draw my sorrows longer,
  And night doth nightly make grief's length
    seem stronger.

28

٦

حين يَحُطُّ بيَ القدر وتُعْرِضُ عنّي أعينُ الناس
فأندبُ وَحْشَتي وأبكي لحاليَ المنبوذ ،
وأقرع آذانَ السماءِ الصمّاءَ بصراخٍ ليس يُجدي
وانظرُ الى نفسي وألْعَنُ حظيّ
متمنيّاً نفسي امرأً أكثرَ مني أملا ،
لي مُحَيّا كمحيّاه ، ولي مالَهُ من الصَّحْبِ الكثير ،
مشتهيا لنفسي فَنَّ هذا ومجالَ ذاك ،
قليلَ القناعةِ بما أنا في أشدِّ التمتع به ،
وفيما أنا في هذه الافكارِ أكادُ احتقرُ نفسي
تَخْطُرُ فجأة أنت ببالي ، واذا بحالي ،
كقُبَّرةٍ عند انفلاق الصبح ، تنطلقُ
من على كامدِ الأرض ، لتَهْزِجَ عند أبوابِ السماء .
لأن هواك الشهيَّ يثيرني حين اذكرُهُ
فأزدري عندها استبدالَ حالي بالملوك .

(٢٩)

(6)

When in disgrace with Fortune and men's eyes,
I all alone beweep my outcast state,
And trouble deaf heaven with my bootless cries,
And look upon my self and curse my fate,
Wishing me like to one more rich in hope, 5
Featured like him, like him with friends possessed,
Desiring this man's art, and that man's scope,
With what I most enjoy contented least,
Yet in these thoughts my self almost despising,
Haply I think on thee, and then my state, 10
(Like to the lark at break of day arising
From sullen earth) sings hymns at heaven's gate,
For thy sweet love remembered such wealth brings,
That then I scorn to change my state with kings.

٧

حين استحضرُ ذكرياتِ الامورِ المواضي
في اجتماعاتِ الأفكارِ العِذابِ الصامتات ،
أتنهَّدُ حسرةً على الكثير مما خاب فألي في نوالِه ،
ومع الاحزانِ القديمةِ أندُبُ من جديد ضَيْعَةَ وقتيَ الثمين :
حينئذ أُغرقُ عيناً لم تكن تعرفُ سَيْلَ الدموع
على حميم الصُحْبِ أخفاهم من الموتِ ليلٌ لا ينجلي ،
وأبكي مُجَدّداً أحزانَ الهوى التي انتهت منذ بعيد ،
واتلوَّعُ على فقدانِ مشاهدَ جمَّةٍ امَّحتْ عن ناظِرَيّ .
حينئذٍ أتوجَّعُ لأوجاعٍ قد تلاشت ،
وأُحصي متأسِّيا ، متنقِّلا من شَجَنٍ الى شجن ،
قوائمَ الأشجانِ التي فَرَغْتُ من النواحِ عليها في القِدَم ،
اسدِّدُها من جديدٍ كأنني من قبل ما سَدّدتُها .
ولكنْ إذ تخطرُ ببالي عندها ، أيها الخلّ العزيز ،
خسائري تُعَوَّضُ كلُّها ، وينقضي الألم .

(٣٠)

(7)

When to the sessions of sweet silent thought,
I summon up remembrance of things past,
I sigh the lack of many a thing I sought,
And with old woes new wail my dear time's waste:
Then can I drown an eye (unused to flow) 5
For precious friends hid in death's dateless night,
And weep afresh love's long since cancelled woe,
And moan th' expense of many a vanished sight.
Then can I grieve at grievances foregone,
And heavily from woe to woe tell o'er 10
The sad account of fore-bemoanéd moan,
Which I new pay as if not paid before.
But if the while I think on thee (dear friend)
All losses are restored, and sorrows end.

٨

ما اكثرَ ما رأيتُ صباحا رائعا يرعى
قممَ الجبالِ بعينٍ ملكية ،
لاثماً خُضْرَ المروج بوجهٍ ذَهَبيّ ،
مُذَهِّباً الجداولَ الشاحباتِ بكيمياءَ من السماء :
وسَرعانَ ما يَسمحُ لمُظلماتِ الغيومِ بأن تعلو
بجموعها الدميمة وجهَهُ العُلْويّ
وتُخْفي مُحَيّاهُ عن الدنيا وقد هُجِرتْ ،
وهو يتسلّل غيرَ مرئيٍّ الى الغرب بإثمِهِ هذا :
هكذا ذاتَ صباحٍ باكرٍ أشرقتْ شمسي
ببهائها المظفَرِ على جبهتي ،
ولكنها انطفأت ويا للأسى ، بعد ساعة ليس الاّ ،
وقد حجبتْها الآن جموعُ الغيوم عنّي .
ولكنّ حبي لم يُنزل لذلك شيئا من قَدْرِها -
فشموسُ الدنيا قد تَحْتَجِب، حين تحتجبُ شمسُ السماء. (٣٣)

8

Full many a glorious morning have I seen,
Flatter the mountain tops with sovereign eye,
Kissing with golden face the meadows green;
Gilding pale streams with heavenly alchemy:
Anon permit the basest clouds to ride, 5
With ugly rack on his celestial face,
And from the forlorn world his visage hide
Stealing unseen to west with this disgrace:
Even so my sun one early morn did shine,
With all triumphant splendour on my brow, 10
But out alack, he was but one hour mine,
The region cloud hath masked him from me now.
Yet him for this, my love no whit disdaineth,
Suns of the world may stain, when heaven's sun staineth.

(٩)

لماذا وعدتَني بيومٍ رائعِ الجمال
وجعلتَني أخرج للسَّير بدون عباءتي،
لكي تدَعَ الغيومَ المظلماتِ تَلْحَقُ بي ،
وتُخفي حُسْنَكَ في موبوء غمامِها ؟
ليس يكفي ان تَبْرُزَ من الغيم كيما
تجفّفَ المطرَ عن وجهيَ المضروبِ بالعواصف ،
وهل ثمة من يمتدحُ دواءً كهذا
يُبرىء الجُرحَ ، ولا يَشْفي شَيْنَ المرض ؟
وما استحياؤك بلسمٌ لحزني ،
وإن أنت ندمتَ فإن خسارتي ما انفكّت باقية ،
وأسى المسيء عزاءٌ واهٍ للذي
يحمل الصليبَ من هَوْل الإساءة .
آهٍ لكنْ هذه الدموعُ يذرفُها حبُّك لآلىءَ
ما أثمنَها ! هي تَفْدي سيّئاتِك كلَّها .

(٣٤)

9

Why didst thou promise such a beauteous day,
And make me travel forth without my cloak,
To let base clouds o'ertake me in my way,
Hiding thy brav'ry in their rotten smoke?
'Tis not enough that through the cloud thou break, 5
To dry the rain on my storm-beaten face,
For no man well of such a salve can speak,
That heals the wound, and cures not the disgrace:
Nor can thy shame give physic to my grief,
Though thou repent, yet I have still the loss, 10
Th' offender's sorrow lends but weak relief
To him that bears the strong offence's cross.
Ah but those tears are pearl which thy love sheds,
And they are rich, and ransom all ill deeds.

34

١٠

كفاك أسىً على ما أتتْهُ يداك !
فللوردِ شوكٌ ، وفضّيُ الينابيعِ لها وحَل ،
والغيومُ والكسوفُ تلطّخُ رونقَ الشمسِ والقمر ،
وفي شَذِيِّ أكمامِ الزَّهَر يغذّي نفسَهُ الدودُ الكريه .
فللناسِ عيوبٌ ، ولي في هذا القولِ أنا ،
إذ أبرّر افتئاتَك بالتشابيه ،
مفسداً بنفسي ما تحتاجُ في تقويم نفسك ،
غافراً خطاياك غفرانا يربو على إثمك :
لأني عن هفوة شهوتك أقدّم الأعذار
فأغدو ، وأنا الخصمُ ، محامياً عن خصمي
وأرفع الشكوى ضد نفسي .
ياللنزاعِ الداخليِّ في حُبّي وكُرهي !
من نفسي جعلتُ شريكا مكرَهاً
للصٍّ جميلٍ ظالمٍ يسلُبُ منّيَ نفسي .

(٣٥)

(10)

No more be grieved at that which thou hast done,
Roses have thorns, and silver fountains mud,
Clouds and eclipses stain both moon and sun,
And loathsome canker lives in sweetest bud.
All men make faults, and even I in this, 5
Authorizing thy trespass with compare,
My self corrupting salving thy amiss,
Excusing thy sins more than thy sins are:
For to thy sensual fault I bring in sense,
Thy adverse party is thy advocate, 10
And 'gainst my self a lawful plea commence:
Such civil war is in my love and hate,
That I an accessary needs must be,
To that sweet thief which sourly robs from me.

(١١)

حين تشتدّ عيناي إغماضا ، ترياِنكَ على أوضحِك ،
فهما طَوال النهار تنظران بدون ملاحظة ،
ولكنهما اذ أنام ترنوان اليك في الأحلام ،
فتُسَرّان سِرًّا ، وتُحسنان في الظلمةِ النّظَر .
فأنت الذي خيالُهُ أخيلَةُ الليلِ يوهجُها
كيف سيُبرز شكلُ خيالك الشكلَ البهيَّ
في وضْح النهار بنورك الأوهجِ بكثير
وطيفُك يشرق هكذا لعيونٍ لا تَرى !
فأقول : لكانتْ بورِكَتْ عيناي
لورَنَتا اليك في النهار الحي ،
وهذا طيفُك الناقصُ البديعُ في مَواتِ الليل
خلالَ النومِ العميقِ يُقيم على العينين الضريرتين !
كل النهارات ليالٍ لعينيّ حتى أراك ،
والليالي أيامٌ مشرقةٌ حين تَعْرِضُكَ الأحلامُ عليّ .

(٤٣)

(11)

When most I wink then do mine eyes best see,
For all the day they view things unrespected,
But when I sleep, in dreams they look on thee,
And darkly bright, are bright in dark directed.
Then thou whose shadow shadows doth make bright, 5
How would thy shadow's form, form happy show,
To the clear day with thy much clearer light,
When to unseeing eyes thy shade shines so!
How would (I say) mine eyes be blesséd made,
By looking on thee in the living day, 10
When in dead night thy fair imperfect shade,
Through heavy sleep on sightless eyes doth stay!
All days are nights to see till I see thee,
And nights bright days when dreams do show thee me.

(١٢)

لا الرخامُ ولا نُصُبُ الأمراءِ مطليةً بالعَسْجَدِ
سَتُعمِّر اكثرَ من هذا الشعر المتين .
بل سيبقى ذكرُك ساطعا في هذي الكلمات
أكثرَ من حجر يتسخ ، ومَـرُّ الزمانِ الأغبرِ يُلوِّثُه .
وحين تُحطِّمُ التماثيلَ حُروبٌ ضَروس
وتجتثُّ يدُ النزاعِ مبانيَ الحجارةِ من أصولِها ،
فلن يمزِّقَ السيفُ ، لا ولن تُحْرِقَ نيرانُ الوغى
سِجلَّ ذكراك الذي سيحيا أبدا .
رغم أنفِ الموتِ والنسيانِ عدوِّ المَلا
ستخطو إلى الأمام ، ولمدحك دوما مكان
في أعينِ الأجيالِ المقبلةِ التي
ستسكنُ الأرضَ حتى تُلاقي حَتْفَها المحتوم .
فإلى يومِ القيامةِ حين تُبْعثُ من ترابِك ،
في هذا القصيد ستحيا ، وفي أعين العشاق تُقيم .

(٥٥)

(12)

Not marble, nor the gilded monuments
Of princes shall outlive this powerful rhyme,
But you shall shine more bright in these contents
Than unswept stone, besmeared with sluttish time.
When wasteful war shall statues overturn, 5
And broils root out the work of masonry,
Nor Mars his sword, nor war's quick fire shall burn:
The living record of your memory.
'Gainst death, and all-oblivious enmity
Shall you pace forth, your praise shall still find room, 10
Even in the eyes of all posterity
That wear this world out to the ending doom.
So till the judgment that your self arise,
You live in this, and dwell in lovers' eyes.

55

١٣

ما الذي بوسعي فعلُهُ ، وأنا عبدُكَ ، سوى
أن اداري ساعاتِ الرغبةِ منك وأوقاتَها ؟
فما لي أنا من وقتٍ ثمينٍ أُنفقُهُ ،
أو خدماتٍ أؤدّيها الاّ بإرادتِك ،
ولستُ أجْرُؤ على تقريع الساعة التي لا تنتهي
وأنا ، سيدي ، أرقُبُ عقاربَ الساعةِ بانتظارك ،
ولا القولِ بأنّ مرارةَ الفراق أليمة
ما دمتَ أنت الذي ودّعتَ خادمَك .
وما أجْرُؤ على التسآل ، والغَيْرةُ ملءُ ظَنّي ،
أين أنت ، أو التخرّص بشؤونك ،
فأبقى كالعبد الحزين مكاني ، ولا افكّر الاّ ،
حيثُما تكن ، ما أسعدَ ما تجعل من بينهم أنت .
الحبّ بهلولٌ وفيّ ، فمهما تشأْ
ولتفعلْ أيّما فعلٍ ، تَجدْ مُحبَّك خاليا من كل ظِنَّة .

(٥٧)

13

Being your slave what should I do but tend,
Upon the hours, and times of your desire?
I have no precious time at all to spend;
Nor services to do till you require.
Nor dare I chide the world-without-end hour, 5
Whilst I (my sovereign) watch the clock for you,
Nor think the bitterness of absence sour,
When you have bid your servant once adieu.
Nor dare I question with my jealous thought,
Where you may be, or your affairs suppose, 10
But like a sad slave stay and think of nought
Save where you are, how happy you make those.
So true a fool is love, that in your will,
(Though you do any thing) he thinks no ill.

١٤

كما تتدافعُ الأمواجُ نحوَ الشاطىء والحصى
هكذا تتعجّلُ السّيرَ دقائقُنا نحو غايتها ،
كلٌّ تتبادلُ المكانَ مع التي سبقتها ،
جاهدةً إلى الأمام جميعا في كفاحٍ يتوالى .
حالما يرى الطفلُ واضحةَ النهار
يزحفُ نحو النُّضْج ، وحينَ يتكلّلُ بالنُّضج
تتصارع الكسوفات اللئيمة ضِدَّ مجدِهِ ،
وإذا الزمن الذي أعطى ، يخبط الآن عطيّته .
فهو يشقّ عنفوانَ الشبابِ بسهمه ،
ويحفُرُ الأثْلام على جبينِ الجمال ،
ويتغذّى على كل ما ندر من حقائق الطبيعة ،
ولا ينتصبُ شيءُ الا ليحصده بمنجلِه .
ولكنّ شعري ، رغم يدِهِ القاسيةِ ، سيبقى
حتى آخرِ الدهرِ بمزاياك يتغنّى .

(٦٠)

(14)

Like as the waves make towards the pebbled shore,
So do our minutes hasten to their end,
Each changing place with that which goes before,
In sequent toil all forwards do contend.
Nativity once in the main of light, 5
Crawls to maturity, wherewith being crowned,
Crookéd eclipses 'gainst his glory fight,
And Time that gave, doth now his gift confound.
Time doth transfix the flourish set on youth,
And delves the parallels in beauty's brow, 10
Feeds on the rarities of nature's truth,
And nothing stands but for his scythe to mow.
And yet to times in hope, my verse shall stand
Praising thy worth, despite his cruel hand.

60

١٥

لما رأيتُ يدَ الزمنِ العاتيةِ تَمحو
زَهْوَ المالِ والكبرياءِ في عصرٍ يَرِثُ ويندرس
والقلاعُ الشاهقاتُ يوماً رأيتُها تندكّ أرضا ،
والنحاسَ الخالدَ عبداً للغضبة الماحقة ،
ولما رأيتُ المحيط الجائعَ يهوي على
دولةِ الشطآن مغتنما ،
والترابَ الثابتَ يكسِبُ أرضاً من لُجَج البحار ،
زائداً الوفرَ بالنقصانِ ، والنقصانَ بالوفر .
لما رأيتُ تبادلَ الحالاتِ هذا
والشموخَ يتحطّم ويتهاوى،
تعلمت من الدمار أن أتأمل فأقول
إن الزمنَ سيأتي ويأخذُ منّي حبيبي .
يالَهُ خاطراً كالموت يحدو بمآقيّ إلى البكاء
على أنّيَ الآن أملُكُ ما اخشى سوفَ يطويهِ الفنَاء .

(15)

When I have seen by Time's fell hand defaced
The rich-proud cost of outworn buried age,
When sometime lofty towers I see down-rased,
And brass eternal slave to mortal rage.
When I have seen the hungry ocean gain 5
Advantage on the kingdom of the shore,
And the firm soil win of the watery main,
Increasing store with loss, and loss with store.
When I have seen such interchange of state,
Or state it self confounded, to decay, 10
Ruin hath taught me thus to ruminate
That Time will come and take my love away.
  This thought is as a death which cannot choose
  But weep to have, that which it fears to lose.

64

(١٦)

لا الصُّفْرُ ولا الحَجَر ، لا الأرضُ ولا البحارُ المترامية ،
بجبروتها قادرةٌ على الصمود لفاجعِ الردّى ،
فأنىّ للجمال أن يقاومَ الغضبَ المحتومَ
وليس لهُ من البأس اكثرُ مما لزهرةٍ نَديّة ؟
آه أنىّ لأنفاسِ الصيفِ العَسَليّةِ أن تدوم
إزاءَ حصارٍ من أيامٍ تدكّ دَكّا وتُدمّرْ ،
حين الصخورُ التي لا تُقتَحمُ تتحطم
وأبوابُ الصُّلبِ القويةُ ينخُرُها الزمن ؟
يا لَلْخاطِرِ المرُيع ! ويلاه أينَ نُخفي
دُرّةَ الزمانِ اليتيمةَ ، لئلا يواريَها الزمنُ في خزينتِه ؟
وأيُّ يدٍ جبارةٍ لها أن تعيق قدميه عن الخَطْوِ السريع ،
ومن يَصُدّه عن الجمالِ وهو غنيمةٌ يَبْغيه ؟
إذا لم تَحْمِهِ آيتي هذه ـ فليس هناك من أحدٍ :
سيُشرقُ حبيبي نَيّراً مدى الدهرِ في المِداد الأسودِ .

(٦٥)

16

Since brass, nor stone, nor earth, nor boundless sea,
But sad mortality o'ersways their power,
How with this rage shall beauty hold a plea,
Whose action is no stronger than a flower?
O how shall summer's honey breath hold out, 5
Against the wrackful siege of batt'ring days,
When rocks impregnable are not so stout,
Nor gates of steel so strong but time decays?
O fearful meditation, where alack,
Shall Time's best jewel from Time's chest lie hid? 10
Or what strong hand can hold his swift foot back,
Or who his spoil of beauty can forbid?
O none, unless this miracle have might,
That in black ink my love may still shine bright.

١٧

إنك الآن فيَّ ترى ذلك الفصلَ من السنة
حين لا تبقى سوى بضعِ وريقاتٍ صفراءَ عالقةً
بفروعٍ ترتجفُ في قَرِّ الهواء ،
منصّاتٍ جرداءَ مهدّمة ، كانت الطيورُ العذبةُ يوماً ترتّلُ فيها .
فيّ ترى شَفَقَ النهارِ الذي
بعد أفولِ الشمس في الغرب يتلاشى
لتذهبَ به سريعاً حُلْكَةُ الليل -
والليلُ صورةُ الموتِ الثانيةُ يطوي الكلَّ في راحتِه .
فيّ ترى وَهَجَ النارِ التي
استقرّت على رمادِ شبابِها
كأنها على فراشِ الموتِ لتلفظَ النَّفَسَ الأخير ،
وقد أتى عليها كلُّ ما كان يغذوها .
تُدْرِكُ هذا ، وهو يجعلُ حُبَّك أقوى ،
كيما تحبَّ عميقاً حينَ لن يطولَ بك الهوى .

(٧٣)

(17)

That time of year thou mayst in me behold,
When yellow leaves, or none, or few do hang
Upon those boughs which shake against the cold,
Bare ruined choirs, where late the sweet birds sang.
In me thou seest the twilight of such day, 5
As after sunset fadeth in the west,
Which by and by black night doth take away,
Death's second self that seals up all in rest.
In me thou seest the glowing of such fire,
That on the ashes of his youth doth lie, 10
As the death-bed, whereon it must expire,
Consumed with that which it was nourished by.
This thou perceiv'st, which makes thy love more strong,
To love that well, which thou must leave ere long.

73

١٨

لِمَ شِعْري قد عَقُمَ من كبرياءِ كلِّ جديد ؟
وغدا بعيداً عن كل تنوّعٍ وكل تغيرّ حَيّ ؟
وعلى مَرّ الشهورِ لماذا لاَ اتلفّتُ حولي
في البحثِ عن اسلوبٍ حديثٍ وتراكيبَ غريبة ؟
لماذا أَخُطُّ دَوْما نفسَ الفِكر ، فِكَراً أبداً نفسَها ،
وأُلبِسُ الإبداعَ ثوباً قد عُرف
حتى غدت كلُّ كُلَيْمةٍ تكادُ تنطق باسمي ،
مفصحةً عن ميلادها، والمصدرِ الذي أطلقها؟
الا اعلم يا حبيبَ القلبِ أني دائما أكتب عنك،
وأنك انتَ والحبُّ دوماً موضوعُ قصيدي -
فخيرُ ما عندي هو إلباسُ الكَلِمِ العتيقِ بثوبٍ قشيب ،
مُنفِقاً ثانيةً ما كنتُ قد انفقتُ من قبل .
فكما أن الشمسَ جديدةٌ وقديمةٌ في كل يوم ،
هكذا ما انفكَّ حُبي ما رواه ، يرويه دوماً من جديد .

(٧٦)

(18)

Why is my verse so barren of new pride?
So far from variation or quick change?
Why with the time do I not glance aside
To new-found methods, and to compounds strange?
Why write I still all one, ever the same,
And keep invention in a noted weed, 5
That every word doth almost tell my name,
Showing their birth, and where they did proceed?
O know sweet love I always write of you,
And you and love are still my argument:
So all my best is dressing old words new, 10
Spending again what is already spent:
For as the sun is daily new and old,
So is my love still telling what is told.

76

(١٩)

يفخَرُ البعضُ بأصلِهِ ، والبعضُ بنيِّرِ عقلِهِ ،
ويفخرُ البعضُ بمالِهِ، والبعضُ بقوّةِ جسمِهِ،
والبعضُ بردائِهِ وإن يكُنْ حديثَ الطُّرْزِ بقُبحِهِ ،
والبعضُ بصقورِهِ وكلابِهِ ، والبعضُ بأصيلِ جيادِهِ .
ولكلٍّ مَذْهبٍ في الهوى لذّةٌ تَلْزَمُهُ
فيها يرى نشوةً تفوقُ كلَّ النَّشَوات .
أما أنا فليست هذي الخصائصُ من نصيبي ،
بل لديّ مايَفْضُلُها جميعاً لأنه أفضلُ ما في الدنيا كلِّها.
هواكَ عندي أفضلُ من شَرَفِ النَّسَب ،
وأغنى من المال ، وأبهى من البُرُدِ الثمينة ،
وأمتعُ من الصقورِ والجيادِ الأصيلة :
واذا ما امتلكتُكَ فإنني أتيه بأنني أَجَلُّ الناسِ قَدْرا .
ولكني لأمرٍ واحدٍ أبتئس ، هو- أنك قد تأخذُ هذا كلَّه منّي ، فتجعلُني أتعسَ الناسِ طُرّا .

(٩١)



Some glory in their birth, some in their skill,
Some in their wealth, some in their body's force,
Some in their garments though new-fangled ill:
Some in their hawks and hounds, some in their horse.
And every humour hath his adjunct pleasure, 5
Wherein it finds a joy above the rest,
But these particulars are not my measure,
All these I better in one general best.
Thy love is better than high birth to me,
Richer than wealth, prouder than garments' costs, 10
Of more delight than hawks and horses be:
And having thee, of all men's pride I boast.
Wretched in this alone, that thou mayst take,
All this away, and me most wretched make.



(٢٠)

يزعُمُ البعضُ أن العيبَ فيكَ هو الشبابُ ، والبعضُ ، عبثُ الهَوى .
ويزعم البعضُ أن الحُسْنَ فيك هو الشبابُ مع دماثة اللَّعِب ،
والحُسْنُ والعيبُ كلاهما قد تُحبّه الناسُ أو قد لا تُحِبّ :
وتجعلُ أنت من العيوبِ محاسِنَ اذا ما لجأت إليك ،
كحَجَرٍ من أبخسِ الجوهرِ يسمو قَدْرُهُ
في أصبعِ سلطانةٍ على العرشِ تربَّعَتْ ،
وكذا كلُّ ما فيك من خطأ يبدو لنا
كأبلجِ الحقِّ صحيحاً لا مِرْيَةَ فيه :
وكم من حَمَلٍ يستطيعُ الذئبُ الفاتكُ خِداعَهُ
لو يستطيعُ أن يُلبِسَ وجهَهُ وجهَ الحَمَل ،
وكم من ناظرٍ تستطيع أنتَ إغواءه ،
لو كنتَ تُعمِل كلَّ ما فيك من بطَش المنزلة !
لكن بربك كُفَّ عن ذلك ، إني عَشِقْتُكَ حتى
أضحيتَ لي ، فأضحى حُسْنُ ذِكْرِكَ ليَ أيضا .

(٩٦)

(20)

Some say thy fault is youth, some wantonness,
Some say thy grace is youth and gentle sport,
Both grace and faults are loved of more and less:
Thou mak'st faults graces, that to thee resort:
As on the finger of a thronéd queen, 5
The basest jewel will be well esteemed:
So are those errors that in thee are seen,
To truths translated, and for true things deemed.
How many lambs might the stern wolf betray,
If like a lamb he could his looks translate! 10
How many gazers mightst thou lead away,
If thou wouldst use the strength of all thy state!
  But do not so, I love thee in such sort,
  As thou being mine, mine is thy good report.

96

(٢١)

كالشتاءِ كان عنك غيابي
يا متعةَ السنةِ العابرة !
أيُّ قُشَعْريرةٍ شعرتُ بها ، وأيُّ أيامٍ مكفهرّة رأيت ،
وحولي أنّى ذهبتُ عُرْيُ كانونَ وذبولُه !
ولكنْ قبل غيابي كان أوانُنا أوانَ الصيف ،
والخريفُ الولودُ بالخصب الوفير
يضع حِمْلَ الهوى اللعوبِ في ميعة الشباب
كرَحِم مَنْ ترمّلت بعد وفاةِ سيدها :
بيد أن هذا النتاجَ العارمَ لم يبدُ لي إلا
كنذيرٍ بميلاد أيتام ، وَوُلْدٍ لا آباء لهم -
لأن الصيفَ وجميعَ لذائذِهِ في صُحبتك
وأنت بعيدٌ غائبٌ عني : حتى الطيورُ قد سكتت .
وإذا شَدَتْ فلحنُها لحنُ الأسى ،
والاوراقُ قد شَحُبَتْ فزعاً لأن الشتاءَ منها قد دنا .

(٩٧)

21

How like a winter hath my absence been
From thee, the pleasure of the fleeting year!
What freezings have I felt, what dark days seen!
What old December's bareness everywhere!
And yet this time removed was summer's time, 5
The teeming autumn big with rich increase,
Bearing the wanton burden of the prime,
Like widowed wombs after their lords' decease:
Yet this abundant issue seemed to me
But hope of orphans, and unfathered fruit, 10
For summer and his pleasures wait on thee,
And thou away, the very birds are mute.
  Or if they sing, 'tis with so dull a cheer,
  That leaves look pale, dreading the winter's near.

(٢٢)

أبدا لن تشيبَ في عينيَّ أيها الخِلُّ الجميل :
فكما كنتَ يوَم أن عاينتُ عينَك أولَ مرَّة
هكذا ما زال حسنُك يبدو : فصولُ شتاءٍ ثلاثة
جرَّدت الآجامَ من زَهْوِ أصيافٍ ثلاثة
وثلاثةُ ربيعاتٍ رأيتُها بجمالها تتحول
بمجرى تقلُّبِ الأيامِ إلى خريفٍ مُمتقِع ،
ونيسانُ في ثلاثِ دوراتٍ أحرق عِطْرَهُ في حُزَيْرانَ الملتهب ،
منذ أن رأيتُك ريانا ، وها أنتَ ما زلت ريّانا طريا .
ولكن الجمال ، آه ، كعقربِ المِزْوَلة
يختلسُ من قدِّهِ ، ولا يشعر امرؤٌ بسَيْرِهِ ،
وكذا لونُك العَذْبُ إذ أظنُّه ثابتاً
فلعله عنك يتناءى ، ولعلَّ عيني تُخْدَع الآن .
فخشيةً من هذا اسمعي ، يا عصورا لم تولَدي :
قد ماتَ صيفُ الجمالِ قبل أن تأتي لتوجَدي .

(١٠٤

22

To me fair friend you never can be old,
For as you were when first your eye I eyed,
Such seems your beauty still: three winters cold,
Have from the forests shook three summers' pride,
Three beauteous springs to yellow autumn turned, 5
In process of the seasons have I seen,
Three April perfumes in three hot Junes burned,
Since first I saw you fresh which yet are green.
Ah yet doth beauty like a dial hand,
Steal from his figure, and no pace perceived, 10
So your sweet hue, which methinks still doth stand
Hath motion, and mine eye may be deceived.
For fear of which, hear this thou age unbred,
Ere you were born was beauty's summer dead.

104

(٢٣)

حينَ أرى في سجلّ الازمان الغابرة
اوصافَ أجملِ من عاشَ من الورى
وارى الحُسْنَ يبتدعُ القوافي الحسان
في مدح غيدٍ طوتهُنَّ المنية ، وأجملِ الفرسان ،
حينئذ ، في مَسْرَدِ أحسنِ ما في الجمالِ الشهيّ
من يدٍ أوقدمٍ أو شفةٍ أو عيونٍ أو جَبين
أرى أن اقلامَهم القديمةَ انما قد عَبَّرَت
عمّا تملكُ الآن من حُسْنٍ وجمال .
فما كلُّ مدحِهم اذن الا تنبّؤٌ
بيومنا هذا ، وتعريفٌ مُسْبَقٌ بك كلُّهُ ،
ولكن اذ ما نظروك إلا بعيونٍ تُحاول رؤيةَ الغيْب
عَجِزوا عن الوفاءِ بالتغنيّ بكلِّ ما لَدَيْك .
فنحن الذين الآن نَشْهَدُ يومنَا بين يديك
لنا عيونٌ للعَجَب ، ولكنْ يُعْوِزُنا اللسانُ بالمدحِ يفيك . (١٠٦)

23

When in the chronicle of wasted time,
I see descriptions of the fairest wights,
And beauty making beautiful old rhyme,
In praise of ladies dead, and lovely knights,
Then in the blazon of sweet beauty's best, 5
Of hand, of foot, of lip, of eye, of brow,
I see their antique pen would have expressed,
Even such a beauty as you master now.
So all their praises are but prophecies
Of this our time, all you prefiguring, 10
And for they looked but with divining eyes,
They had not skill enough your worth to sing:
For we which now behold these present days,
Have eyes to wonder, but lack tongues to praise.

(٢٤)

لا تَدَعْني في سبيلِ تزاوجِ الألبابِ الوفيّة
أُقِرُّ بالعراقيل : فليس الحب حبًا
إن يتحولْ عندما يحلو التحول له
أو يذعن راضياً للزوال عند من يبغي زواله.
لا ، إنما الحبّ إشارةٌ قد ثَبَتَتْ
ترقبُ العواصفَ دون أن تتزعزع ؛
هو نجم تستدلّ به السفن الهائمة ،
لا يُعْرَفُ تأثيرُه وإن يَقِسِ البحّارةُ عُلْوَهُ.
وليس الحبُّ أضحوكةَ الزمن ، وإن يَقَعْ خدّاه وثَغْرُهُ الورديّ
في مدى منجلِهِ المنحني ،
ولا يتحول الحبُّ في وجيزِ ساعاتِ الزمن أو لياليه ،
بل رغم الخُطوبِ يَدومُ حتى حافَةِ القيامة .
إن يكن شَطَطا هذا وعليّ ثَبَتَ بُرْهانُهُ ،
فلا نظمتُ يوماً ، لا ولا رجلٌ أَحَبّ !

(١١٦)

(24)

Let me not to the marriage of true minds
Admit impediments, love is not love
Which alters when it alteration finds,
Or bends with the remover to remove.
O no, it is an ever-fixéd mark 5
That looks on tempests and is never shaken;
It is the star to every wand'ring bark,
Whose worth's unknown, although his height be taken.
Love's not Time's fool, though rosy lips and cheeks
Within his bending sickle's compass come, 10
Love alters not with his brief hours and weeks,
But bears it out even to the edge of doom:
  If this be error and upon me proved,
  I never writ, nor no man ever loved.

116

(٢٥)

في سالفِ العصورِ لم يُحْسَبِ السوادُ حُسْنا ،
وإن حُسِب لم يَخْلَعْ عليه اسمَ الجمالِ أحد :
اما الآن فالسوادُ خليفةُ الجمال ووراثةٌ ،
ويُشانِ الجمالُ بعار ابن الحرام ،
وبما أن كلَّ يدٍ تدَّعي قُدرةَ الطبيعة
فتُحَسِّنُ الدميمَ بوجهٍ من الفنِّ كاذبٍ ومستعار ،
لم يبقَ للجمالِ اسمُهُ ولا دارُهُ القُدُسيّة ،
وقد انتُهكَت حُرْمَتُه ، إن لم يكن عيشُه العار .
ولذا فإنَّ شَعْرَ حبيبتي في سَواد الغراب ،
وعينيها من اللون نفسه ، كأنهما في حِداد
على أنَّ التي لم تولد حسناءَ لا يُعْوِزُها الجمال
وهي تُهينُ الطبيعةَ بزهوها المزيَّف .
ولكنَّ حِدادَهما يليقُ بحزنهما لياقةً
تجعلُ كلَّ لسانٍ يقول : هكذا الجمالُ ، وإلاّ فلا !

(١٢٧)

(25)

In the old age black was not counted fair,
Or if it were it bore not beauty's name:
But now is black beauty's successive heir,
And beauty slandered with a bastard shame,
For since each hand hath put on nature's power,   5
Fairing the foul with art's false borrowed face,
Sweet beauty hath no name no holy bower,
But is profaned, if not lives in disgrace.
Therefore my mistress' eyes are raven black,
Her eyes so suited, and they mourners seem,   10
At such who not born fair no beauty lack,
Slandering creation with a false esteem,
  Yet so they mourn becoming of their woe,
  That every tongue says beauty should look so.

127

(٢٦)

تبديدُ الروح في قَفْرٍ من العار۔
تلك هي الشهوةُ حين تنفَّذ : والشهوةُ قبل التنفيذ
تُلامُ وتُلعَنُ ، فتاكةٌ ، دمويةٌ ،
وحشيّةٌ ، متطرفةٌ ، ضاريةٌ ، لا تؤتمن ،
ما نكاد نفرغُ من لذتها حتى نَزْدريها،
نسعى اليها بعُنْفِ الجنون ، فننالُها وسَرعانَ ما
نمقتها بعنف الجنون كطُعْمٍ في حلقنا ،
أُنْزِلَ عَمْداً ليدفَعَ آخِذَه الى الجنون .
جنوناً نلاحقُها ، وجنوناً نحظى بها ،
لا حَدَّ يصدُّنا إذ نبحثُ عنها ، نقضي بها الوَطَر ، ثم بَعْدَها :
فهي السعادةُ إذ نجرِّبها ، وبعدها هي الشقاءُ والويل ،
وهي من قَبْلُ سرّاءُ وُعِدْنا بها ، وهي من بَعْدُ حُلُم :
كلُّ هذا تَعْلمُه الدنيا جيدا ، ولكن ليس من يَعْلم
كيف يَجْتَنِبُ النعيمَ المؤدّي بالناسِ الى هذا الجحيم .

(١٢٩)

(26)

Th' expense of spirit in a waste of shame
Is lust in action, and till action, lust
Is perjured, murd'rous, bloody full of blame,
Savage, extreme, rude, cruel, not to trust,
Enjoyed no sooner but despised straight, 5
Past reason hunted, and no sooner had
Past reason hated as a swallowed bait,
On purpose laid to make the taker mad.
Mad in pursuit and in possession so,
Had, having, and in quest, to have extreme, 10
A bliss in proof and proved, a very woe,
Before a joy proposed behind a dream.
All this the world well knows yet none knows well,
To shun the heaven that leads men to this hell.

129

(٢٧)

عَيْنا خليلتي ليستا كالشمس في شيء ،
والمَرجانُ أشدُّ احمرارا بكثيرٍ من شَفتيها .
وإن يكنِ الثلجُ أبيض ، فنهداها بلونِ الطين ،
وإن يكن الشَّعرُ أسلاكا ، فالأسلاكُ السوداءُ في رأسِها تنمو :
ولقد رأيتُ الورودَ الدمشقية ، حُمْرَها وبيضَها ،
غير اني لا أرى وروداً كتلك في خَدَّيها ،
وفي بعضِ العطور شذًى أطيبُ
من الانفاس التي بينَ فَكَّيْهَا ،
وأنا أهوى سَماعَها تتكلم ، ولكنني واثق
أن للموسيقى انغاماً أبلغَ في النفسِ وقعاً بكثير :
ولستُ بمُدَّعٍ أني رأيتُ إلهَةً تمشي أمامي
ولكن حين تمشي خليلتي ، قدماها تطآنِ على الثرى .
ولكنَّ حبيبتي ، وحقِّ السماءِ ، أندَرُ روعةً بظنيّ
مِن كلِّ ما تَقْصُرُ عَنْهُ إذ أشبِّهُها بِهِ عَبَثا !

(١٣٠)

(27)

My mistress' eyes are nothing like the sun,
Coral is far more red, than her lips red,
If snow be white, why then her breasts are dun:
If hairs be wires, black wires grow on her head:
I have seen roses damasked, red and white, 5
But no such roses see I in her cheeks,
And in some perfumes is there more delight,
Than in the breath that from my mistress reeks.
I love to hear her speak, yet well I know,
That music hath a far more pleasing sound: 10
I grant I never saw a goddess go,
My mistress when she walks treads on the ground.
And yet by heaven I think my love as rare,
As any she belied with false compare.

130

٢٨

أنتِ كما أنتِ ، طاغيةٌ ـ كاللواتي
تجعلُهُنَّ كبرياء المحاسن قاسيات ،
فأعَلَمُ الناسِ انتِ بأنكِ لقلبي المُذْنَفِ حبا
أجملُ وأغلى جوهرة .
ولكنَّ البعضَ ممن يرونكِ يقولُ مخلصا
أن ليسَ لوجهكِ استنباعُ أنينِ الهوى ،
ولا أجرأ على القولِ لهم بأنهم على ضلال ،
ولو أني أُقسم على ذلك بيني وبين نفسي .
وكيما استوثق من أن يمينيَ ليست كاذبة ،
يحضرني ألفُ أنينٍ ، بمجرَّد التفكيرِ في وجهك ،
ليشهدَ واحداً تلو آخر ،
أن سوادَكِ هو الأروع في مجال حكمي .
فما أنت سوداءُ إلاّ في فعِالِك ،
وعَنْها ، فيما أرى ، نَجَمَ الطعنُ فيكِ .

(١٣١)

(28)

Thou art as tyrannous, so as thou art,
As those whose beauties proudly make them cruel;
For well thou know'st to my dear doting heart
Thou art the fairest and most precious jewel.
Yet in good faith some say that thee behold, 5
Thy face hath not the power to make love groan;
To say they err, I dare not be so bold,
Although I swear it to my self alone.
And to be sure that is not false I swear,
A thousand groans but thinking on thy face, 10
One on another's neck do witness bear
Thy black is fairest in my judgment's place.
In nothing art thou black save in thy deeds,
And thence this slander as I think proceeds.

131

(٢٩)

عينكِ أعشق ، وهما كأنهما تَرثيان لحالي ،
اذ تعرفانِ أن القلبَ منكِ بالصدِّ يُضنيني ،
لبستا سوادا فأضحتا ، كمنْ يَجِدُ على الحبيب ،
تنظران بأسىً جميلٍ الى عَذابي .
والحقُّ أن شمسَ الصباحِ في السماء
ليست أليقَ منهما بَوجَنات المشرِقِ الشهباء،
ولا النجمةُ المتلألئة التي تَسْتَقْدِم المساءَ
تُسْبغُ روعةً على المغربِ المُسْتكين
كروعةِ عينيك في حِدادِهما على محيّاك :
اذن بربك اجعلي قلبَك يستسيغُ
الندبَ عليّ ، ما دام النُّدْبُ جميلا فيك ،
وجلّلي الرثاءَ بالسوادِ في كل عضوٍ فيك .
إذ ذاك أقسِمُ أنَّ الجمالَ نفسَهُ أسود ،
ودميمٌ كلُّ من كانَ لونُهُ غيرَ اللونِ في إهابِك !

(١٣٢)

(29)

Thine eyes I love, and they as pitying me,
Knowing thy heart torment me with disdain,
Have put on black, and loving mourners be,
Looking with pretty ruth upon my pain.
And truly not the morning sun of heaven 5
Better becomes the grey cheeks of the east,
Nor that full star that ushers in the even
Doth half that glory to the sober west
As those two mourning eyes become thy face:
O let it then as well beseem thy heart 10
To mourn for me since mourning doth thee grace,
And suit thy pity like in every part.
Then will I swear beauty herself is black,
And all they foul that thy complexion lack.

132

(٣٠)

الا تَبًّا لذاك القلبِ الذي يبعثُ قلبي على الأنين
جَرّاءَ ذاك الجُرحِ الذي أثخَنَهُ فِيَّ وفي صديقي !
أما حَسْبُكِ تعذيبي أنا ،
فتجعلين من صديقي الحُلْوِ عَبْداً للعبوديّة ؟
عينُكِ الجائرةُ قد نزعت نَفْسِيَ عنّي ،
واقربُ الناسِ الى نفسي احتكرتِهِ ،
فغدوتُ مهجورا منه ، ومني، ومنك معا ،
وحَجْري هكذا عذابٌ مَثَلَّثٌ في ثلاثة :
اسجني قلبي في زنزانَةِ صدرِك الحديديّة ،
ولكنْ دعي قلبَ صديقي يكفل قلبي المسكين ،
ومن يَسْجُنُني ، فليجعلْ قلبي حارساً له،
وعندها لن تستطيعي قسوةً في سَجني .
ولكنك سَتَقْسين ، لانني اذ يُغْلَقُ عليّ فيكِ،
فانني بالتالي مُلْكُكِ ، ومُلْكُكِ كلُّ ما في داخلي .

(١٣٣)

(30)

Beshrew that heart that makes my heart to groan
For that deep wound it gives my friend and me;
Is't not enough to torture me alone,
But slave to slavery my sweet'st friend must be?
Me from my self thy cruel eye hath taken, 5
And my next self thou harder hast engrossed,
Of him, my self, and thee I am forsaken,
A torment thrice three-fold thus to be crossed:
Prison my heart in thy steel bosom's ward,
But then my friend's heart let my poor heart bail, 10
Whoe'er keeps me, let my heart be his guard,
Thou canst not then use rigour in my gaol.
And yet thou wilt, for I being pent in thee,
Perforce am thine and all that is in me.

133

(٣١)

حين تقسمُ حبيبتي بأنها مصنوعةٌ من الوفاء
اصدِّقُها ، وانا أعرِفُ أنها تكذب ،
عسى أن تحسِبَني شاباً لم يُعْجَمْ عودُهُ ،
جاهلا بأخاديعِ الدنيا وفنونِ مَكْرِها .
وهكذا اذ احسِبُ عَبَثاً أنها من الشبابِ تَحسِبُني
رغمَ علمِها بأن ايامي غادرت عنفوانَها ،
اصدّق دونما شَرْطٍ لسانَها المفتري ،
فُيكْبَتُ الصِّدقُ المجرَّدُ هكذا في الجانبين :
ولكن لماذا تُراها لا تقولُ إنها لا تُخلِصُ لي ؟
ولماذا لا اقولُ أنا إنني قد كَبُرْتُ؟
آه انما خيرُ عاداتِ الحبِّ هذه الثقةُ الظاهريَّة ،
والعُمْرُ في الحب لا يُحبُّ تَعدادَ السنين .
ولذا فاني أكذبُ عليها ، وهي تكذبُ عليّ ،
وكلانا في عيبِهِ يتملَّقُ نفسَهُ بالاكاذيب .

(١٣٨)

31

When my love swears that she is made of truth,
I do believe her though I know she lies,
That she might think me some untutored youth,
Unlearnéd in the world's false subtleties.
Thus vainly thinking that she thinks me young, 5
Although she knows my days are past the best,
Simply I credit her false-speaking tongue,
On both sides thus is simple truth suppressed:
But wherefore says she not she is unjust?
And wherefore say not I that I am old? 10
O love's best habit is in seeming trust,
And age in love, loves not to have years told.
  Therefore I lie with her, and she with me,
  And in our faults by lies we flattered be.

138



بربِّكِ لا تطلبي أن أبرِّزَ الظلمَ الذي
من عَسْفِكِ قد حاق بقلبي !
بلسانِكِ لا بعينِكِ اجرحيني ،
أعملي البطشَ بالبطش ، ولكن مَكْراً بفتنتِكِ لا تقتليني .
قولي تُحبّين غيري ، ولكن إذ تكونين امامي
يا مُنْيَةَ القلبِ لا تُشيحي بناظريكِ عنّي :
لماذا بالمكرِ تجرحينني ، ولك من قُوى الهجوم عليّ
ما ليس لدفاعيَ المغلوبِ أن يَدْرأ عنّي ؟
ولكن دعيني أعذُرْكِ : « عَلِمَتْ حبيبتي
أن نَظَراتِها الحوراءَ ألَدُّ أخصامي ،
فصرَفَتْ عن وجهي عَدُوّاتي
لكي يُنْزِلن سِهامَ الأذى بغيري ! »
ولكن بالله عن ذلك كُفّي ، كِدْتِ أن تصرعيني ،
أجهزي عليَّ بنظراتِكِ ومن ألَمي أنقذيني .

(١٣٩)

(32)

O call not me to justify the wrong,
That thy unkindness lays upon my heart,
Wound me not with thine eye but with thy tongue,
Use power with power, and slay me not by art,
Tell me thou lov'st elsewhere; but in my sight, 5
Dear heart forbear to glance thine eye aside,
What need'st thou wound with cunning when
thy might
Is more than my o'erpressed defence can bide?
Let me excuse thee, ah my love well knows,
Her pretty looks have been mine enemies, 10
And therefore from my face she turns my foes,
That they elsewhere might dart their injuries:
Yet do not so, but since I am near slain,
Kill me outright with looks, and rid my pain.



لستُ وأيمَ الحقِّ أهواكِ بناظِرَيَّ ،
إنهما يريان الفَ عيبٍ فيكِ ،
ولكنَّ قلبيَ يهوَىٰ ما يزدريان ،
ويلَذُّ لهُ التولُّهُ بالرغم عن النظر !
وما تَطْرَبُ لأنغام لسانِك أُذُني
وما يميلُ منّي الحِسُّ الرقيقُ الى اللمس الوضيع ،
لا الذوقُ ولا الشمُّ منفردَينِ يشتهيان
الإقبالَ على وليمةِ الشهوةِ فيكِ ،
ولكن لا المواهبُ الخَمْسُ ولا الحواسُّ الخمس قادرةٌ
ان تُغْرِيَ قلباً أحمقَ واحداً على البُعْد عنك،
قلباً على الإباءِ الخليقِ بالرجالِ يقضي ،.
فيجعلُ مني لقلبك التائِهِ كِبْراً عبداً وبئسَ الرقيق .
وما احسبُ مصيبتي إلا رِبْحاً لنفسي :
حبيبتي الى الخطيئة تدفعُني ، وعنها تُجازيني بالألم .

(١٤١)

33

In faith I do not love thee with mine eyes,
For they in thee a thousand errors note,
But 'tis my heart that loves what they despise,
Who in despite of view is pleased to dote.
Nor are mine ears with thy tongue's tune delighted, 5
Nor tender feeling to base touches prone,
Nor taste, nor smell, desire to be invited
To any sensual feast with thee alone:
But my five wits, nor my five senses can
Dissuade one foolish heart from serving thee, 10
Who leaves unswayed the likeness of a man,
Thy proud heart's slave and vassal wretch to be:
Only my plague thus far I count my gain,
That she that makes me sin, awards me pain.

14

٣٤

لي حبيبان ، حبيبُ طُمأنينةٍ وحبيبُ يأسٍ ،
وكلاهما كروحين يهمسان دوماً لي .
ملاكُ الخيرِ منهما فتىً ناصعُ الحُسْن،
وروحُ الشَّرِّ منهما امرأةٌ بلون القَتام .
لإقحامي في الجحيمِ سريعاً ، شِرِّيرتي
تُغوي ملاكيَ الخَيِّرَ كي يَبْعُدَ عنّي ،
وتودُّ لو تفسِدُ قدّيسيَ شيطاناً
وهي تغازلُ النقاء منه بكبريائها الأثيمة .
فهل انقلب إبليساً ملاكي ؟
تلك رِيبَتي ، ولست قطعا أدري ،
ولكن إذ يبتعدان عني متصاحبيْنِ ،
اخالُ الملاكَ الواحدَ واقعاً في جَحيمِ الآخر .
وهذا كلُّهُ لن اعرِفَهُ يقينا ، بل أحياه شَكًّا،
حتى يُخرجَ مَلاكيَ الشرّيرُ ملاكيَ الخيِّرَ بالنار .

(١٤٤)

(34)

Two loves I have of comfort and despair,
Which like two spirits do suggest me still,
The better angel is a man right fair:
The worser spirit a woman coloured ill.
To win me soon to hell my female evil, 5
Tempteth my better angel from my side,
And would corrupt my saint to be a devil:
Wooing his purity with her foul pride.
And whether that my angel be turned fiend,
Suspect I may, yet not directly tell, 10
But being both from me both to each friend,
I guess one angel in another's hell.
Yet this shall I ne'er know but live in doubt,
Till my bad angel fire my good one out.

144

(٣٥)

يا نفسيَ المسكينةَ ، مركزَ أرضيَ الخاطئة ،
ارضيَ الخاطئةِ التي ترصُفُها هذه القُوىٰ المتمرّدة ،
لماذا بَراكِ الهمُّ وأسْقَمَكِ العَوَز
وتلوّنين اسوارَك الخارجيةَ بهذا الزَّهْوِ والمرح ؟
فيمَ التكلفةُ الكبرى هذه ، والعَقْدُ قصيرُ الأجل ،
تُنفقينها على صَرْحِكِ الحائلِ هذا ؟
هل ستأكل الديدانُ ، وارثاتُ هذا الفيض ،
من يُعنَىٰ بشأنك ؟ أهذه نهايةُ جَسَدِك ؟
عيشي يا نفسُ إذن على خَسارةِ خادمِك ،
ودعيه يتضَوّر جوعا لتزيدي من مالِك أنتِ .
اشتري آجالا إلهيّةً ببيعِ ساعاتِ النفاية ،
وتغذّي من الداخل ، وكُفّي عن التبَهْرُجِ خارجا ،
فَتقْتاتي على الموت الذي يقتاتُ على البَشَر ،
واذا ما الموت قضى ، لم يبقَ موتٌ هناك .

(١٤٦)

(35)

Poor soul the centre of my sinful earth,
My sinful earth these rebel powers array,
Why dost thou pine within and suffer dearth
Painting thy outward walls so costly gay?
Why so large cost having so short a lease, 5
Dost thou upon thy fading mansion spend?
Shall worms inheritors of this excess
Eat up thy charge? is this thy body's end?
Then soul live thou upon thy servant's loss,
And let that pine to aggravate thy store; 10
Buy terms divine in selling hours of dross;
Within be fed, without be rich no more,
So shall thou feed on death, that feeds on men,
And death once dead, there's no more dying then.

146

٣٦

ما اشبه حبي بحمّى تتوقُ دَوْما
الى ما يُطيلُ تغذية المرض ،
مقتاتةً على ذاك الذي يُبقي على الداءِ فيها ،
إرضاءً لشهوتي الممروضة الحائرة :
وعقلي الذي هو الطبيبُ لحبّي
اغضبَهُ إهمالُ وصَفَاتِهِ
وغادرني ، وها انا ذا يائساً ابرهنُ على
أن الرغبةَ موتٌ ، لكانَ الدواءُ يُقصيهِ .
بَعُدْتُ عن الشِّفاءِ وعقلي بعيدٌ عن الهَمِّ بي ،
مسعورَ الجنون باضطرابي المتزايد ،
كالمجاذيب افكاري واقوالي ،
بِمَنْأى عن الحقيقةِ التي أعبّر عنها دون جدوى .
فلقد أقسمتُ أنكِ جميلةٌ ، وفَكّرْتُكِ تتألّقين ،
وانتِ كالليل ظلماءُ ، وسوادءُ كما الجحيم .

(36)

My love is as a fever longing still,
For that which longer nurseth the disease,
Feeding on that which doth preserve the ill,
Th' uncertain sickly appetite to please:
My reason the physician to my love, 5
Angry that his prescriptions are not kept
Hath left me, and I desperate now approve,
Desire is death, which physic did except.
Past cure I am, now reason is past care,
And frantic-mad with evermore unrest, 10
My thoughts and my discourse as mad men's are,
At random from the truth vainly expressed.
For I have sworn thee fair, and thought thee bright,
Who art as black as hell, as dark as night.

147

(٣٧)

ويلاهُ ! أيُّ عينينِ قد وضع الحبُّ في رأسي
لا تُصيبان رؤيةَ ما تقعان عليه !
أو إن كانت تصيبانِ ، فأين قد راح ادراكي الذي
ينتَقِصُ كَذِباً ما تَرَيانِهِ على حقيقته ؟
فإذا كان جميلا ما تعشقُهُ عيناي الكاذبتان
لماذا يُنْكِرُ الناسُ عليَّ ذلك ؟
وإذا لم يكن جميلا ، إذن فالحبُّ برهانٌ على
أن عيْنَ الحب ليست صائبةً كعيون الناس . لا ،
أنَّى لها ذلك ، أنىَّ لعينِ الحب أن تُصيبَ وَقَدْ
ضَرَّ بها السَّهَرُ والدمعُ الكثير؟
لا عَجَبَ إذن إن أنا أخطأْت في رؤيتي ،
فالشمسُ نفسُها لا تَرى أو تنقشعَ الغيوُمُ من السماء .
أيا حبًّا ماكرا ! اعميتَني بالدمعِ لئلاَّ
تُحْسِنَ العينانِ النظر ، فتكشِفا عيوبَك الدميمة !

(١٤٨)

37

O me! what eyes hath love put in my head,
Which have no correspondence with true sight,
Or if they have, where is my judgment fled,
That censures falsely what they see aright?
If that be fair whereon my false eyes dote, 5
What means the world to say it is not so?
If it be not, then love doth well denote,
Love's eye is not so true as all men's: no,
How can it? O how can love's eye be true,
That is so vexed with watching and with tears? 10
No marvel then though I mistake my view,
The sun it self sees not, till heaven clears.
  O cunning love, with tears thou keep'st me blind,
  Lest eyes well-seeing thy foul faults should find.

148

٣٨

اتقدرينَ ، يا قاسيةُ ، ان تقولي : أنا لا أحبكَ ،
وانا اشاركُكِ الفعلَ ضدَّ نفسي ؟
ألستُ فيك افكِّرُ عندما انسى ،
من اجلِكِ يا جائرة ، أنني مُلْكُ نفسي ؟
ايكرهُكِ احدٌ واعتبرُهُ صديقاً لي ؟
وهل تعبَسينَ على أحدٍ وابسِمُ لهُ أنا ؟
بل إن أنتِ جَهَمتِ عليَّ ألا أنقَمُ على
نفسيَ توًّا باللوعةِ والأنين ؟
وما جدارتي في احترام نفسي
اذ تأنف كبرياءُ خِدْمَتَك ،
حينَ خيرُ ما فيَّ يعبدُ عيوبَك كلَّها
إن انتِ أمرتِني بلفتةٍ من ناظرَيْك؟
ولكن داومي الكرهَ يا حبيبتي ، لأني الآن فهمتك :
إنك تحبين الذي يَرى ، وأنا عمِيتُ فما أرى . . .

(38)

Canst thou O cruel, say I love thee not,
When I against my self with thee partake?
Do I not think on thee when I forgot
Am of my self, all-tyrant, for thy sake?
Who hateth thee that I do call my friend, 5
On whom frown'st thou that I do fawn upon,
Nay if thou lour'st on me do I not spend
Revenge upon my self with present moan?
What merit do I in my self respect,
That is so proud thy service to despise, 10
When all my best doth worship thy defect,
Commanded by the motion of thine eyes?
But love hate on for now I know thy mind,
Those that can see thou lov'st, and I am blind.

149

(٣٩)

الا من اية قوّةٍ جئتِ بهذه السطوةِ الساحقة
لتسودي على القلبِ منّي بنقائصك ،
لتجعليني أُكَذِّبُ ما عن حقٍّ أرى
فأقسِمَ أنّ البريقَ لا يَزينُ النهار ؟
أنّى لكِ هذا البهاءُ المُغْدَقُ على كل دميمٍ
فتتبدّى ، حتى في أحطِّ ما تفعلين ،
قوّةُ عقلِكِ ودليلُ رجاحَتِكِ ،
ويفوقُ اسوأُ ما لديكِ بذهني أفضلَ ما عندَ الجميع ؟
ومن علّمَكِ ان تزيديني هياماً بكِ كلما
سمعتُ منك ، أو رأيتُ ، سبباً للكراهية ؟
آه ، فلئن كنتُ أُحبُّ ما يمقتُهُ الآخرون ،
عليكِ الا تمقتي كالآخرين ما انا فيهِ .
إن يكن عدمُ الجدارةِ منك يثيرُ فيَّ الهوى ،
فما اجدرني ان اكوَن منكِ محلَّ الهوى !



(39)

O from what power hast thou this powerful might,
With insufficiency my heart to sway,
To make me give the lie to my true sight,
And swear that brightness doth not grace the day?
Whence hast thou this becoming of things ill, 5
That in the very refuse of thy deeds,
There is such strength and warrantise of skill,
That in my mind thy worst all best exceeds?
Who taught thee how to make me love thee more,
The more I hear and see just cause of hate? 10
O though I love what others do abhor,
With others thou shouldst not abhor my state.
  If thy unworthiness raised love in me,
  More worthy I to be beloved of thee.

150

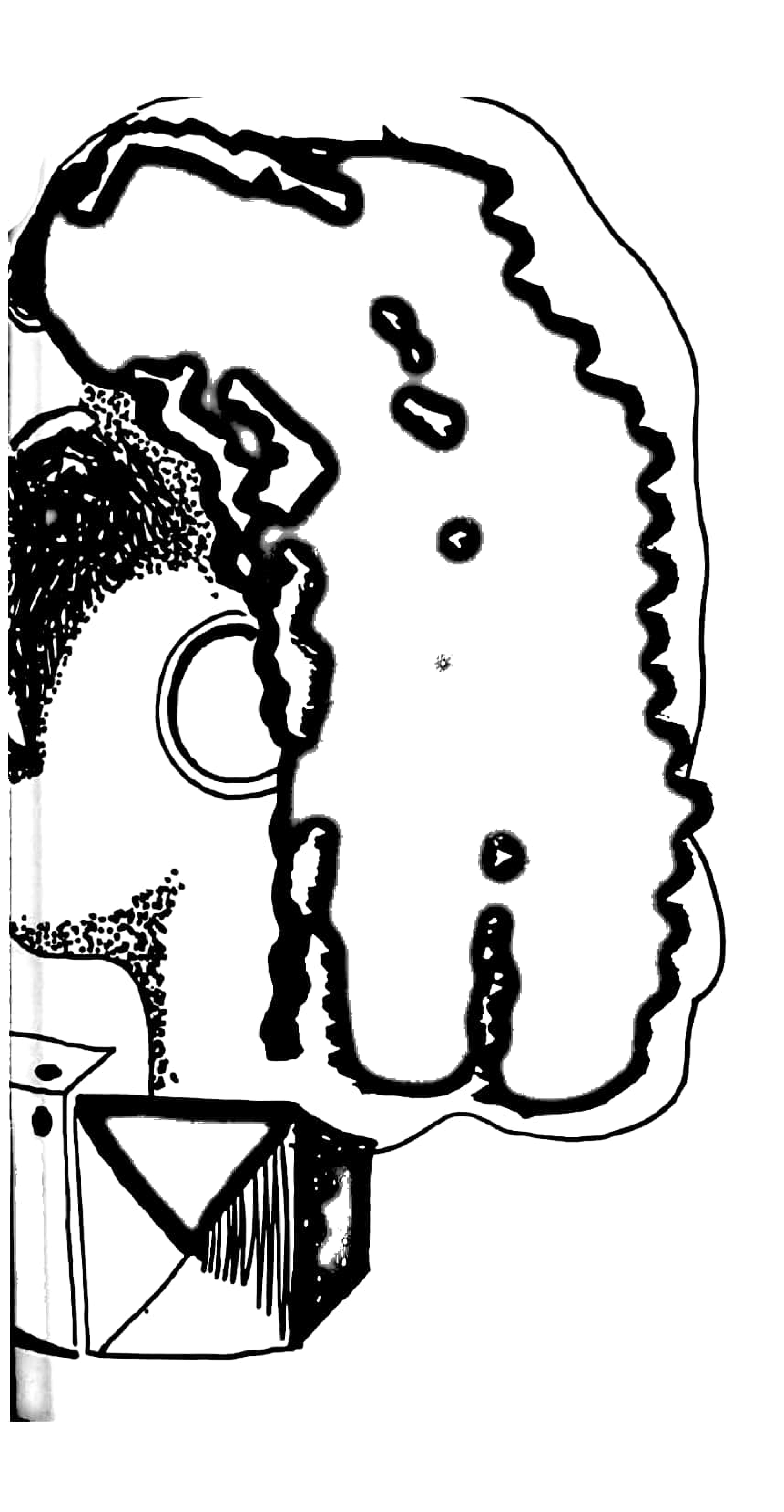
٤٠

في حبي لك تعلمينَ أني حانِثٌ في يميني ،
ولكنكِ تحنَثينَ مرَّتين إذ تُقْسمين على حبِّي ،
وقد نَقَضْتِ عهدَ الفراشِ فعلًا ومزَّقتِ جديدَ الوَلاء
حين اقسمتِ على كُرْهٍ جديد بعد التمتّعِ بحبٍّ جديد :
ولكن ما لي اراني اتّهمُكِ بالحِنْثِ في يمينَيْنِ اثنتين ،
وانا قد حَنِثْتُ بعشرين ؟ انا الناطقُ الأكبرُ زُوراً
لأن أيْماني كلهَّا قَسَمٌ على تصويركِ على غيرِ ما أنتِ :
وامانتي وصدقي كلاهما ضيَّعْتُهما فيكِ ـ
فقد اقسمتُ أغلظَ الأيْمان على عُمْقِ لطفك ،
على حبّك ، صدقِكِ ، ثباتِ عَهْدِك ،
ولكي أحْبُوكِ ضياءً سلَمتُ عينَيَّ إلى العمى ،
أو جعلتُهما تُقسمان على الضدِّ مما تريان .
فقد أقسمتُ أنكِ حسناءُ ـ أيُّ زورٍ منيّ
أن أُقسِمَ ضدَّ الحقِّ على أُكذوبةٍ شَوْهاءَ كهذه !

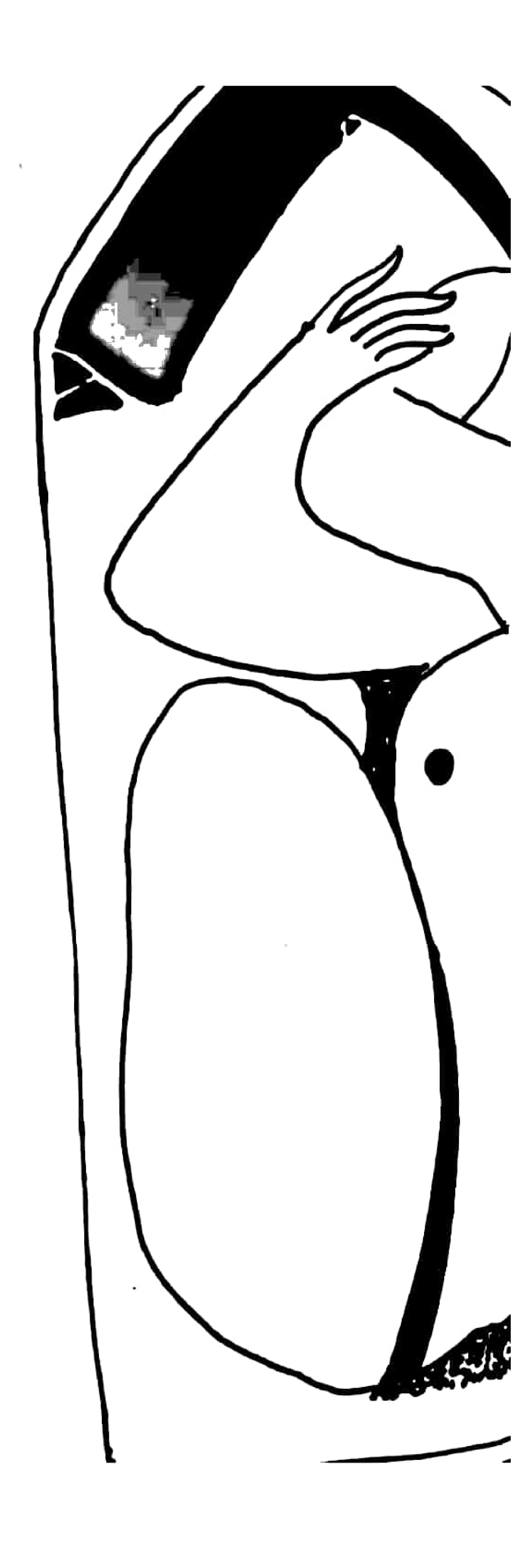
(١٥٢)

(40)

In loving thee thou know'st I am forsworn,
But thou art twice forsworn to me love swearing,
In act thy bed-vow broke and new faith torn,
In vowing new hate after new love bearing:
But why of two oaths' breach do I accuse thee, 5
When I break twenty? I am perjured most,
For all my vows are oaths but to misuse thee:
And all my honest faith in thee is lost.
For I have sworn deep oaths of thy deep kindness:
Oaths of thy love, thy truth, thy constancy, 10
And to enlighten thee gave eyes to blindness,
Or made them swear against the thing they see.
For I have sworn thee fair: more perjured I,
To swear against the truth so foul a lie.



هوامش



- ١ -

هذه السونيتة من اجمل ما في الشعر الانكليزي ، ومن اشهر السونيتات التي كتبها شكسبير . وفي مجموعتنا المختارة هنا ، نجد فيها بداية تأكيد الشاعر على صلة الشعر بالجمال ، وقدرته على جعل الجمال خالدا ، رغم عتوّ الزمن . وهو موضوع سيتكرر في السونيتات ، معبرا عن اعتزاز الشاعر بفنه ، وثقته بخلوده .

« ايار »: كان هذا الشهر ، وفق التقويم القديم ، السابق للتقويم الغريغوري ، يأتي متأخرا ، فيمتد الى قرابة منتصف الصيف . ولنذكر أن هذا الصيف الذي يصفه الشاعر هنا، صيف انكليزي - أجمل فصول السنة في انكلترا .

- ٢ -

يعود الشاعر الى موضوع الزمن وجوره على كل ما في الحياة ، وينهيه عن حفر جبين حبيبه - ولكنه يعلم أن نهيه هذا عبث ، ولذا فسيبقى حبيبه شابا في شعره - الى الأبد .

- ٣ -

يعرف الشاعر - وهو الكاتب المسرحي - كيف يضطرب الممثلون على المسرح ، فيقول إنه بسبب عبء عاطفته يفقد القدرة على التعبير عن كل ما في قلبه ، ويطلب الى عزيزه أن يسمع

بعينيه ، ليدرك من قسمات وجهه مبلغ العمق في حبه .

« ذاك اللسان الذي فاقها في تعابيره »: لعله هنا يشير الى شاعر كان ينافسه في علاقته . وثمة اشارات في بعض السونيتات الى هذه المنافسة التي تجعل الشاعر يسائل نفسه احيانا عن فنه وقدرته ، كما في الرقمين ٦ و١٨ من هذه المجموعة .

- ٤ -

هذه السونيتة مرتبطة بالسونيتة التالية . وفي كلتيهما وصف لرحلة إلى الريف لعل الشاعر قام بها مع عدد من أعضاء فرقته في حال من البؤس والضنك ، ايام اغلاق المسرح في لندن بسبب الطاعون ، اضافة الى عداء مجلس البلدية وكبار المسؤولين لما كان يقدم من مسرحيات ايامئذ . غير أن هذا حدث عام ١٥٩٢ - ١٥٩٣ - أي قبل ما يعتقد بأنه تاريخ البدء بالسونيتات بحوالي اربع سنوات . كل ما تعلمنا السونيتات هو أن الشاعر تورط في امر ما اضطره الى مغادرة لندن مكرها ، فبقي يذكر عزيزه ، ويمني نفسه بالعودة في « كرب هنيء ».

« وهو كالجوهر عُلِّق في دامس الليل الرهيب »: تشير العبارة إلى أن بعض الحجارة الكريمة يمكن رؤيتها في الظلام . وكلمة « وجهه »

في السطر التالي ، توحي بأن طيف الحبيب يشع في الظلام كجوهرة في قرط معلق باذن الليل العجوز.

- ٥ -

انظر الهامش السابق .

« اقول للنهار . . . تعسجد السماء »:

هذه الاسطر الاربعة متصلة معا : مهما خبا النهار أو أعتم الليل ، فإن الحبيب يشعّ على العالم ، فيواسيه بحسنه عن الظلام .

- ٦ -

هنا بعض « الخواطر والاشجان » التي تملأ الشاعر ، والتي ذكرها في ٤ و٥ : ومن هنا روعة الصورة الموفقة في القبّرة التي تنطلق عند انفلاق الصبح « لتهزج عند ابواب السماء ».

« ابكي لحالي المنبوذ »: لعل الشاعر يشير إلى حاله كممثل عادي في تلك الفترة ، ويجب ان نذكر أن شكسبير بقي لسنوات عدة يمثل أدواراً ثانوية الى جانب قيامه بكتابة المسرحيات .

« قليل القناعة بما انا في اشد التمتع به »: من المحتمل ان شكسبير هنا يتحدث عن قصائده بالذات .

- ٧ -

كانت السونيتة السابقة حول هموم الشاعر الحالية . اما في هذه السونيتة فهو يتحدث عن خسائره واحزانه الماضية . وهي ما عادت مجرد خواطر ليليّة .

السونيتات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ في النص الاصلي تتوالى الواحدة بعد الأخرى ، وتوحي بانها تتصل بمحور واحد .

- ٨ ، ٩ ، ١٠ -

هذه الثلاث المتوالية في الاصل ، تدور حول اساءة صديقِهِ له ، واعترافه بذلك ، ثم غفرانه . لاحظ استمرار صورة النهار والسماء والغيوم فيها جميعا .

- ٨ -

« يرعى » : كان يقال ان العين الملكية « ترعى » كل ما تقع عليه .

« بعد ساعة ليس الا » : لم يطل بقاء الحبيب ، وغاب بين جموع الاخرين .

- ٩ -

قد يؤخذ المعنى في السطرين الاولين حرفيا ، ولكن لا بد من الاشارة الى الكناية المستمرة في السونيتة السابقة وهذه : فالشمس هي الخِل

العزيز ، واليوم الرائع بالجمال هو الوفاء ، والعباءة هي الحبطة ضد الخيانة .

« شين المرض » : بعد شفاء الجرح تبقى ندبته .

- ١٠ -

« دموع » السونيتة السابقة توحي بمطلع هذه السونيتة .

تثار شفقة الشاعر ، فيحس بالذنب ، ويغفر الاساءة ، فيتخبط في تناقضه ، ويلوم نفسه .

- ١١ -

عودة الى موضوع الفراق والغياب .

« طيفك الناقص »: الطيف « ناقص » لانه ليس إلا شبحا للكمال المتمثل بالشخص المخاطب .

- ١٢ -

هذه السونيتة ، عدا روعتها بحد ذاتها ، تمثل خلاصة للكثير من قصائد عهد النهضة الاوروبية ، وبخاصة تلك التي يزعم فيها اصحابها ان شعرهم في ممدوحيهم سوف يخلّدهم . وهذه فكرة تظهر في السونيتات بين حين وآخر (راجع رقم ٢ : « ايها الزمان الملتهم . . . ») ولكن الطريف فيها هو أن الاسطر ٧ - ١٤ تكاد تكون ترجمة للاسطر الاخيرة

في الفصل الخامس عشر من كتاب « التحولات »
للشاعر الروماني أوفيد (٤٣ ق . م - ١٨ ب .
م). وقد كان لأوفيد اثره في عدد من سونيتات
شكسبير .

- ١٣ -

« الحب بهلولٌ وفيّ » : ما اسهل ما يُخدع
المحب الوفي ، كالابله البهلول !

- ١٤ -

الاسطر الاربعة الاولى اختصار لتسعة ابيات
ترد في « تحولات » أوفيد . و« زحف » الطفل نحو
النضج صورة ترد في مكان آخر من « التحولات » .

« تتصارع الكسوفات اللئيمة ضد مجده »:
تتحكم في حياته النجوم ، وإذا كسوفاتها اللئيمة
الآن تتصارع لإطلاق نحسها عليه .

« عنفوان الشباب » : الريش الذي تزهو به
هامة الشباب ، يشقّه الزمان بسهمه .

- ١٥ -

في الاسطر التسعة الأولى اصداء من أوفيد -
كما هو شأن شكسبير كلما عاد الى موضوع الزمن
العاتي على كل ما في الحياة ، وتبادل الحالات فيها .

- ١٦ -

استمرار لما في السونيتة السابقة من جو

وصور .

في السطرين الثاني والثالث صورة يستقيها شكسبير من لغة المحاكم والقضاء : « أنى للجمال ان يتصدى بمرافعته لغضب الزمن ، وليست قضيته بأقوى من مجرد زهرة»؟ وكعادته يطلق المعنى الموازي الذي يريده من هذه الصورة. لاحظ كيف ينتقل من كناية القضاء إلى كناية الحرب والحصار في البيتين اللاحقين.

« اين نخفي / درة الزمان اليتيمة لئلا يواريها الزمن في خزينته ؟ »: في مسرحية « طرويلس وكريسيدا » (٣، ٣، السطر ١٤٥) يصور شكسبير « الزمن » وهو يحمل خرجا يضع فيه أجمل الافعال لكي يقتات عليها « النسيان ».. وهكذا هنا : يواري الزمن في خزينته اروع ما في الحياة .

- ١٧ -

« منصّات جرداء مهدمة ، كانت الطيور العذبة ترتل فيها »: بأمر من الملك هنري الثامن ، حين فصل الكنيسة الانكليزية عن روما واعلن نفسه حاميا لها ، أفرغ عدد كبير من الاديرة والكنائس من رهبانها ، وذلك قبل ولادة شكسبير بحوالي ثلاثين سنة .

ولما نشأ شكسبير ، كان الكثير من هذه

المعابد قد اهمل وتداعى ، بما فيها من منصات المرتلين التي يراها الشاعر هنا وقد تهدمت، و « الطيور العذبة » انما هي اجواق المرتلين الذين ما عادوا يملأون تلك المنصّات .

« والليل صورة الموت الثانية » - في مكبث (٢، ٢، ٣٨) يقول الشاعر « النوم ، موت الحياة لكل يوم »، والنوم هنا مقرون بالليل . والنوم كصورة للموت يرد عند الشعراء الانكليز فيما بعد ، وبخاصة عند شلي .

- ١٨ -

الطريف هنا ان شكسبير يتهم نفسه بأنه لا يغيّر ولا يجدد في شعره ، ويوحي بأن الشعراء الآخرين يسبقونه « في البحث عن اسلوب حديث » ! طبعا ، ما دام موضوعه واحداً لا غير ، وهو هذا الحب الذي لا يتغير ، فهو انما يلبس « الكَلِمَ العتيق بثوب قشيب » - هكذا يقول ، ويجعل من الوفاء في النهاية فضيلته التي يتباهى بها ، كأنها الشمس - التي هي « جديدة وقديمة في كل يوم ».

- ١٩ -

يقول شكسبير لعزيزه : تصور لو انك حُرِمتَ من كل ما تعتزّ به في الحياة من محتد ، ومال ، وقوة ، ومهارة ، ورداء جميل ، اي بؤس

يحيق بك ! اما انا فحبك عندي اثمن من هذه كلها معا - وتريد أن تحرمني منه ! أي بؤس « تفرضه علي ! »

في هذه السونيتة أصداء من قصيدة الشاعر الروماني هوراس إلى مسيناس ، ويرى البعض فيها اصداء من قصيدة الشاعر اليوناني اكزينيفون « ذكريات »، حيث يتحدث عن ذكرى سقراط ويدفع عنه تهمة إفساد شباب اثينا .

- ٢٠ -

« فاضحى حسن ذكرك لي ايضا » : يعرف الشاعر ان عزيزهُ ما عادت تهمه سمعته ، التي يبدو أنها قد ساءت لكثرة غواياته ، ولكنه يعلل نفسه بضرب من المفارقة . . .

- ٢١ -

هذه السونيتة ، والسونيتة اللاحقة ، اثنتان من مجموع اربع موضوعها الفراق .

وهي تبدأ بوصف خريف يحمل ، كالحبلى ، نتيجة لذائذ اشهر الصيف ، حين كان الحبيبان معا ، واذا الخريف ، مع الفراق ، يضع « حمل الهوى اللعوب »، كما تضع امرأة يتيما بعد وفاة زوجها . ومآل ذلك كله « عُرْي كانون وذبوله » - لحن الحزن والأسى . الحب هو الصيف

بلذائذه ، والفراق هو الشتاء بعقمه .

- ٢٢ -

« فصول شتاء ثلاثة »: هذه من العبارات التي تدفع دارسي السونيتات في متاهة من التخمين حول المدة التي قضاها شكسبير في كتابتها ، والشخص المعنيّ بها ، الخ .

ونيسان في ثلاث دورات احرق عطره في حزيران الملتهب »: الصورة مستقاة من حرق البخور في النار لكي يضوعَ شَذاه .

- ٢٤ -

بصدد هذه السونيتة ، يستشهد دوفر ولسون بقول الفريد نويس : « بعض السونيتات يقف وحده بروعته . . . ولأروعها جميعا ، هذه السونيتة بمطلعها الذي لا يقف عند نهاية البيت ، والسهل الممتنع في ادائها ، مغزى كوني شامل : انها تعالج الحب كشيء مطلق. »

« الحب اشارة قد ثبتت » : منارة لا تأخذ منها عواصف البحر . لاحظ الصلة بين هذه الصورة وصورة « النجم » اللاحقة بها مباشرة .

« لا يُعرف تأثيره »: لا يستطيع علم الفلك أن يحسب تأثير النجم على مقدرات الناس .

« وليس الحب أضحوكة الزمن » - سيبقى الحب ابدا ، رغم الموت .

- ٢٥ -

هذه اولى سونيتات القسم الثاني من المجموعة الكاملة . وبها يتغير الموضوع تغيرا جوهريا : فالمخاطَب الآن ، وحتى النهاية امرأة . وهي امرأة سمراء يطيب لشكسبير أن ينعتها بالسواد ، ويعذّبه منذ اللحظة الأولى وقوعه متخبطا في حب امرأة يجب ان يعتبر جمالها ابنا حراماً، لانه جاءها عن غير الطريق المشروع - كما يفصّل في هذه السونيتة ، وفي السونيتات اللاحقة .

وهذه السونيتات تختلف في منطقها ومؤدّاها عما نظم الشعراء في الحب . فهم يزعمون ، في صورهم اللفظية ، أنهم يرون في جمال حبيباتهن روائع الطبيعة التي هي مرجعهم في التشبيه والكتابة . اما شكسبير فيرى في جمال حبيبته ما يتخطى روائع الطبيعة كلها ، ويستخلص نقائضها ، وإذا هو « مسعور الجنون باضطرابي . . . » (رقم ٣٦) وفي هذه السونيتة اول الاحساس بهذا التناقض العنيف الذي لا يملك إلا أن يجد فيه المزيد من الاثارة ، والجمال .

« وعينيها من اللون نفسه ، كأنهما في حداد »: سواد العينين يذكّر الشاعر دائما بالحداد

والحزن .

« ولكن حدادهما يليق بحزنهما لباقة
تجعل كل لسان يقول : هكذا الجمال ، وإلاّ
فلا ! »:

من أسطر هذه السونيتة جاءت عبارة الكاتب الامريكي يوجين اونيل « الحداد يليق باليكترا »، التي جعلها عنوانا لاحدى مسرحياته ، والتي اخذت بعد ذلك تترد على الأقلام باشكال شتى .

- ٢٦ -

بعد أن تحدث الشاعر عن « تزاوج الالباب الوفية »، وعن الحب الباقي ابدا رغم الزمن والموت ، اعترف ايضا بما تفعله الشهوة الجنسية في المرء عندما تسلبه ارادته ، في سياق تعلق الشاعر بامرأة كانت لها هذه القدرة الغريبة على اثارته بشكل لا يجد له منطقا مألوفا لدى الناس . وكعادته ، استطاع أن يتحدث عن الشهوة ، كما تحدث عن الحب ، كشيء مطلق، في هذه السونيتة التي هي الأخرى من اروع ما نظم .

« تبديد الروح »: كان هذا مصطلحا طبيا ، يعني تبديد القوى الحيوية ، حمّله شكسبير معنى اوسع واعمق بكثير .

«قفر من العار»: طريقة شكسبيرية في تغيير

القرائن بين الأفكار: القفر Waste يعني بالانكليزية ايضاً التبديد أو الضياع، وبهذا يصبح قفر العار محملاً بمعنى «ضياع مشين للنفس».

« لاحد يصدّنا إذ نبحث عنها ، نقضي بها الوطر ، ثم بعدها »: يصوّر الشاعر تطرف المرء وجنونه في مراحل الشهوة الثلاث : البحث ، قضاء الوطر ، وما بعده .

- ٢٧ -

ادت هذه السونيتة الى الكثير من التأويل الممعنة في سوء الفهم وخطل الحكم لدى العديد من الكتاب ، ومن جملتهم برنارد شو ، فقالوا إنها الدليل على أن حبيبة شكسبير لم تكن جميلة ، بل قال احدهم (جوردان عام ١٨٨١) انها الدليل على انها كانت زنجية - وهي فكرة ردّدها البعض في الآونة الأخيرة . ولكن ما على المرء إلا أن يتأمل في البيتين الأخيرين منها ، ويتذكر السونيتات الأخرى التي تهيّء لها أو تنطلق منها ، ليدرك أن شاعرنا يقول إن جميلات بترارك وأصحاب السونيتات التقليديين ليس بينهن من يضاهي جمالها جمال حبيبته . وهو في الوقت نفسه يسخر من اساليب هؤلاء الشعراء الذين من دأبهم أن يقولوا : « عينا خليلتي كالشمس ، وشفتاها اشد احمرارا من المرجان ، ونهداها بلون الثلج ، الخ »، لينتهي الى

الاعلان بأن حبيبته « أندر روعة » من ذلك كله !

- ٢٨ -

استمرار لموضوع « السواد » في حبيبته - هذا « السواد الأروع في مجال حكمي ». ولكن حسناء، ليست سوداء إلّا في فعالها : وفي ذلك اشارة اخرى ، سنجدها تتكرر في عدد من السونيتات اللاحقة ، الى خيانتها له .

لاحظ ان السونيتات الخمس ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ تأتي في النص الأصلي في مجموعة واحدة ، وقد نضيف اليها رقم ٢٥ ، حيث يشتد بنا الاحساس بأنها جميعا تتحدث عن محنة عاطفية عنيفة كان الشاعر مستسلما لعذابها ولذتها والامها ، وتتمحور صورها في السواد / الجمال ، الحب / الشهوة ، الخيانة / الغفران .

- ٢٩ -

معابثة الحب وعذابه : قلب حبيبته يصدّه عنها ، فترثي عيناها بسوادهما لحاله ! استمرار للموضوع السابق .

- ٣٠ -

تستمر المعابثة مع الألم : يلوم الشاعر خليلته على ملاحقة صديقه الحبيب ، ويحاول أن يجد حلا للمعضلة الثلاثية . فالصورة في الرباعية الثالثة

هي : لِيُسْجَنْ قلبُ الصديق في قلب الشاعر ، ويُسجن قلب الشاعر في صدر الحبيبة ، فلعلها إذن لا تقسو لأن كلا العاشقين ، قلباً ، في صدرها ، ولكنه يعلم - كما في السطرين الأخيرين - انها ستقسو ، رغم ذلك كله !

- ٣١ -

هذه من القصائد القليلة التي نعرف أن شكسبير غيّر وصحح في بعض كلماتها واسطرها ، لانها كانت قد نشرت قبل مجموعة السونيتات في مجموعة « الحاج العاشق » . وبمقارنة النصين نجد النص المتأخر فعلا افضل من النص السابق .

نورد هذه الملاحظة لاننا لا نعرف كيف كان يُعمل شكسبير قلمه بكتاباته . وقد قال عنه احد معاصريه ومحبيه إنه « لم يشطب يوما سطرا مما كتب »، لسرعة ما كان يكتب - ولا سيما المسرحيات . وقد علق صديقه بن جونسون على ذلك بقوله : « ليته شطب اسطرا كثيرة ! »

- ٣٢ -

« بلسانك لا بعينك اجرحيني ! » أرى في جنون شكسبير بعيني حبيبته ، وهو الذي يتفنن في تصويره هنا ، قمة من قمم هوس الشُعَراء بالعينين ، ولا سيما العرب منهم ، الذين طالما كانوا صرعى العيون :

إن العيون التي في طَرْفها حَوَرٌ
قتلننــا ثم لم يُحيين قتــلانــا
يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حراك به
وهنَّ أضعفُ خَلْقِ الله إنســانا!

-٣٣-

يقـول دوفر ولسن في هـذه السونيتـة : « ان الشـاعر في واقـع الامـر لا يرى « الف عيب » في خليلته ، ولا هو يرفض التمتع « بوليمة الشهـوة » التي تقدمها له : انما هو يحتجّ على ذلك ليؤكـد ان قلبه قد سُجن في قلبهـا الحديـدي (رقم ٣٠) فما عـاد يتحكم بجسده الـذي غدا لهـا « عبـداً وبشـراً الرقيق ».

«يجازيني بالألم» «ألم» Pain في الأصل تعني أيضاً: عقاب. . . حبيبته تدفعه إلى الخطيئة، وجزاء هذه الخطيئة تنفّذ فيه العقاب.

-٣٤-

هـذه السونيتـة تطرح مـوضـوع متـواليـة السونيتات بأجمعها، ولكانت تصلح أن تكون مستهلا للقسم الأول منها، وللقسم الثاني، معا. انها تصور صراع الحب بين ثلاثـة، الشاعـر وصديقه وحبيبتـه. والصديق هـو ملاك خيـر، والحبيبة ملاك شر، ويعذبه أن يقع ملاك الخير في جحيم ملاك الشر.

«حتى يُخرجَ ملاكي الشرّيرُ ملاكي الخيِّرَ بالنار»: الصورة مستقاة من إخراج الصياد الثعلب من جحره بالقاء نار شديدة الدخان فيه. ويشير احد النقاد الى ان ثمة معنى ضمنيا هنا هو «ايصال العدوى بمرض جنسي». والمعروف أن الامراض الزهرية في العصر الأليزابيثي كانت متفشية بشكل رهيب، حتى كان العشق كثيرا ما يقرن بالاصابة بهذا الداء، ويقرن بالتالي بالموت.

-٣٥-

هذه قصيدة تأمل ديني تكاد تكون غريبة عن سياق السونيتات، اذ لا إشارة فيها الى خليلة الشاعر- اللهم الا اذا اعتبرنا «هذه القوى المتمردة» اشارة الى حبه المتمرد. ولكن فيها شيئا من ذلك الالم الذي ينتاب الشاعر بين حين وآخر لشدة احساسه بالاثم، فيدعو نفسه الى اطّراح الجسد، وقتله، فإذا اقتاتت النفس على موت الجسد، لم يبق ثمة موت. وفي السطرين الأخيرين ما يذكّرنا بقول القديس بولس (في رسالته الى اهل كورنثيا، ١٥، ٥٤- ٥٥) «عندما يرتدي هذا الفسادُ عدَم الفساد، أيها القبر، اين انتصارك؟».

-٣٦-

المدهش في هذه السونيتة مَجازاتُها الطبيّة العديدة التي يسخرها الشاعر جميعا للتعبير عن

جنونه، وعن حيرته في تعلقه بالداء الذي لا يسمح للعقل بأن يشفيه.

-٣٧-

تنويع جديد على الموضوع القائل إن عيني المحب ليستا كعيون الآخرين.

-٣٨-

مثل آخر على براعة شكسبير في التعبير عن جدلية الحب والكره، التي تتصل بها جدلية النشوة والعذاب.

-٣٩-

استمرار لجدلية السونيتة السابقة.

-٤٠-

«اني حانث في يميني»: على الأرجح يمينه على الوفاء لزوجته.

«نقضتِ عهدَ الفراش»: يدل هذا القول على أن خليلة الشاعر متزوجة.

«مزقت جديد الولاء»: الولاء الجديد كان في حبها له إذ «نقضت عهد الفراش»، ولكنها مزقت هذا الولاء الجديد «حين اقسمت على كره جديد بعد التمتع بحب جديد».



المحتوى

«مهما تكن التجربة التي انطلقت منها هذه السونيتات، ومهما تعكس من [illegible]
معينة في حياة صاحبها، فان أهم ما فيها هو روعتها الشعرية المحض: [illegible]
وكناياتها ومجازاتها، وموسيقاها وإيقاعاتها. ففيها جميعاً تتمازج العذوبة [illegible]
واللوعة باللذة، ويمازج حسّ الجمال فيها حسّ الشهوة، والمحبة المطلقة [illegible]
حسّ الموت. وفيها ذلك الحزن القادم من بعيد، وإذا الحزن [illegible]
والخوف من الزمن ينقذه الإيمان بالفن - فن الشعر، فالمواضيع الأساسية [illegible]
تتمحور فيها السونيتات هي في النهاية: الحب، والزمن، والموت، والشعر [illegible]
وسيلة لتخليد الجمال والحب، والبقاء رغم عتوّ الزمن والموت...»
هذه الكلمات بعض ما يقدّم به جبرا إبراهيم جبرا لترجمته الفذّة لعدد كبير من
سونيتات شكسبير، التي تقدّم هنا باللغة العربية لأول مرة، مع نصوصها
الانكليزية.

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
[illegible]

الثمن ١٥ [illegible]